هيبـــــة الدعـــاة
وأثرها في الدعوة إلى اللّه تعالى
دراسة تطبيقية

إعداد

د/ إبراهيم على أحمد محمد

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

ملخص البحث

يتناول هذ البحث (هيبة الدعاة وأثرها على الدعوة ـ دراسة تطبيقية ـ)، ويدرس البحث العلاقة بين هيبة الدعاة وأثرها على السلوك الإنساني .

ثم يتناول الأسباب المكتسبة للهيبة والمسقطة لها ثم بينت خطورة إسقاط الهيبة عن الدعاة باعتبار الهيبة مؤشر القبول عند الناس ونبهت على أن إسقاطها من قبل الدعاة أنفسهم يعني عدم ارتدائها مرة ثانية ثم ذكرت الهيبة في القرآن والسنة النبوية ومن ثم نماذج تطبيقية من هيبة السلف لله تعالى ولرسوله ﷺ وثم هيبة الناس للدعاة باعتبار أن هيبة الدعاة مستمدة من هيبتهم لله عز وجل وهيبة رسوله ﷺ ثم بينت خطورة نزع الهيبة عن الدعاة ثم ختمت البحث بدراسة تطبيقية ميدانية وذلك باستطلاع آراء الناس حول مكانة الدعاة وهيبتهم عند الناس وهل مازالت موجودة مع ما يوجد من هجمة شرسة يتعرض لها الدعاة من وسائل الإعلام المختلفة وقد توصل الباحث إلى نتائج إيجابية من خلال الاستطلاع لأن حفظ هيبة الدعاة هي أيضاً من حفظ الله تعالى لرسالته السماوية الخالدة .

❁ ❁ ❁

Summary

This paper deals with "the prestige of preachers and its impact on advocacy - an applied study

The research studies the relationship between prestige of preachers and its impact on human behavior

Then he deals with the acquired causes of the prestige and the projected to it, then showed the danger of dropping the prestige from the preachers, as the prestige is an indication of acceptance among the people, and warned that dropping it by the preachers themselves means not to wear it again, then I mentioned the prestige in the Qur'an and the Sunnah of the Prophet and then applied models of the prestige of the predecessor to God Almighty and His Messenger May God's prayers and peace be upon him and then the prestige of the people for the preachers, given that the prestige of the preachers derives from their prestige to God Almighty and the prestige of his Messenger, may God bless him and grant him peace, then showed the danger of stripping the prestige of the preachers and then concluded the research with an applied field study by exploring people's opinions about the prestige of preachers and their prestige with the people and whether they are still T exist with the existing fierce attack against the preachers of different media researcher has reached positive results from the survey because keeping the prestige of the preachers are also keeping God for his eternal heavenly.

مقدمة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.....وبعـــــد؛

فإن اللهَ تعالى جعل للعلماء العاملين هيبةً في قلوب الناس، وكلما كان للعلماء هيبة عند الناس كلما كان لكلامهم الوقع الحسن في النفوس ولقد اهتمت الشريعة بمقصد حفظ هيبة الأئمة في صدور العامة، ومن الأمثلة الجلية التي توضح هذا الأمر طريقة اختيار إمام المسجد فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم:" يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا وَلاَ تَؤُمَّنَّ الرَّجُلَ فِي أَهْلِهِ وَلاَ فِي سُلْطَانِهِ وَلاَ تَجْلِسْ عَلَى تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ أَنْ يَأْذَنَ لَكَ أَوْ بِإِذْنِهِ" (١).

فقيمة العلماء كبيرة بينها رسول الله فقال: "وإنَّ الملائكةَ لتَضَعُ أجنحتَها رضاً لطالبِ العلم، وإنَّ العالم ليستغفِرُ لهُ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ والحيتانُ في جوف الماء، وإن فضلَ العالمِ على العابِدِ كفضل القَمَرِ ليلةَ البدرِ على سائر الكواكِبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياءَ لم يُورِّثُوا ديناراً ولا دِرْهماً، ورَّثُوا العِلْمَ، فمن أخَذَه أخَذَ بحظٍّ وافِرٍ" (٢)

فإذا كانت الملائكة ومن في السموات ومن في الأرض يوقرون العالم

---

(١) رواه الإمام مسلم ك:المساجد باب: مَنْ أَحَقُّ بِالإِمَامَةِ ج٢ ص١٣٣

(٢) رواه الإمام أبو داوود ك:أول كتاب العلم باب: الحثِّ على طلب العلم لمحقق: شعَيب الأرناؤوط ـ محَمَّد كامِل قره بللي، ج٥ ص٤٨٥، ط: دار الرسالة العالمي الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، وقال المحقق: حديث حسن بشواهده .

هذا التوقير فنحن أحق بذلك .

والعلماء بذلوا كل غالٍ ونفيس، بذلوا أرواحهم ومُهَجهم وأموالهم وأوقاتهم، وتركوا لذيذ العيش، وأطالوا السهر، حفاظا على سنة رسول الله ﷺ وتبليغها للناس فينبغي أن ينظروا للداعية نظرة توقير وإجلال وهيبة كونهم يحملون رسالة النبوة، ولخطورة دورهم في إصلاح الأمة، فهم حماة الأخلاق، وحراس العقيدة، هادمين للرذائل، بناة للفضائل فهم مصابيح الهدى، إذا خبا نورهم عاش الناس في ظلام دامس، وحري برجل يضطلع بتلك المهام أن يحافظ الناس على هيبته .

وفي الآونة الأخير لاحظنا هجمة شرسة على الأزهر الشريف وعلمائه في حملة منظمة بغية النيل منه ومن هيبة دعاته، ناسين أن الأزهر ودعاته حاملين منهج الوسطية، وهم أمان الناس من التطرف والغلو، ولعل الذي ساعد على ذلك ما دس بين علمائه من العوام الذين تزيوا بزيهم فحسبوا على العلماء.

والهيبة أحد أسباب الاستماع للدعاة، والأخذ عنهم وأن من تعرى منها صعب عليه أن يرتديها ثانية بل واستبدله الله بغيره إن لم يحفظ شرف تلك الأمانة، لذا وجب أن يدق ناقوس الخطر، وأن ينبه الدعاة بسمو رسالتهم، وكونهم خلف للنبوة، وتنبيه الناس أيضا أن لحوم العلماء مسمومة، وأن من نال منها نالت منه.

وهيبة الدعاة مستمدة من معرفتهم بالله عز وجل، فمن عرف الله هابه الناس بداهة وتجانبته الأعين. "فمن صحت معرفته باللَّه ظهرت عليه الهيبة والخشية" (١). فمن هاب الله هابه كل شيء، ومن لم يهب الله هابه الله من كل شيء ، فإذا أصلح الداعية سره مع الله، ألقى الله عليه المهابة، وهناك قصص كأنها خيال في هذا المقام

(١) طبقات الصوفية: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج١ ص٤٢٣، ط: دار الكتب العلمية: بيروت ص٢٢٦

من علماء عاملين كانت هيبتهم كبيرة في نفوس الناس، فمن عرف الله حق المعرفة صغرت في عينه الدنيا والناس .

والملاحظ أنه لم يعد اللباس والسمت الإسلامي كافيان وحدهما للهيبة والقبول عند الناس، دون عمل موافق لأقوالهم، فأصبح الناس يقيمون العلماء من خلال أعمالهم، وليس من خلال أقوالهم وسمتهم خاصة في هذا العالم المفتوح الذي لا يستتر فيه شيء .

ومن ملاحظتي الميدانية وجدت أنه مع هذه الهجمة القوية على العلماء يتوهم أنه قد تبخرت هيبتهم، والحقيقة هذا وهم كبير، فلا يزال الناس يجلون العلماء، ولن تنزع منهم تلك الهيبة إلا إذا نزعها العالم عن نفسه .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ . تعاظم ظاهرة انتقاد علماء الدين، فكان لا بد من لفت الانتباه الى تلك القضية ففي ضياع هيبة العلماء ضياع لهيبة الدين.

٢ . الهيبة بريد القبول عند الناس فإن نزع غطاء الهيبة لم يكن لكلامهم صدى في النفوس، وهذا نذير خطير لأنه يقطع الوصل بين العلماء والناس، فيتخذ الناس رؤوساً جهالاً فيضلوا.

٣ . الهجمة الشرسة من الإعلام على الدعاة والأزهر الشريف فكان لا بد من دق ناقوس الخطر ولفت انتباه الدعاة إلى الخطر الذي يحدق بهم.

٤ . قياس مدى شعور الناس بهيبة الدعاة، وهل قل منسوبها عندهم أم لا، باعتبار أن هذا معيار قبول الناس لكلام الدعاة، ومن ثم اتخاذ التدابير اللازمة للوقاية.

٥ . من الصعب جدا إذا خلع عن العالم رداء الهيبة أن يرتديه مرة أخرى، وهو ما يسمى باحتراق العالم حتى يعود اللبن في الضرع لذا لزم التنويه.

المسـح الأدبـي:

لم يقف الباحث على بحث يحمل ذات العنوان، وإن كانت معالجة قضايا الهيبة، منثورة في كتب مثل: مدارج السالكين وإحياء علوم الدين وغيرها من كتب الرقاق.

منهـج البحـث:

يستنير الباحث بأساليب البحث العلمي التالية:

أولاً: المنهج التاريخي: وهو المنهج الذي نقوم في ضوئه (باسترداد الماضي، تبعاً لما تركه من آثار، أياً كان نوع هذه الآثار، وهو المنهج المستخدم في العلوم التأريخية والأخلاقية) [١].

(١) مناهج البحث العلمي، د/ عبد الرحمن بدوى، ص٦٨، ١٩٦٣م، دار النهضة العربية، مصر .

ثانياً: المنهج الوصفي: وهو المنهج الذي في ضوئه نستعرض "ظاهرة من الظواهر كما هي قائمة في الحاضر، بقصد تشخيصها، وكشف جوانبها، وتحديد العلاقات بين عناصرها أو بينها وبين ظواهر أخرى، وهو لا يقف عند حدود وصف الظاهرة، وإنما يذهب إلى أبعد من ذلك فيحلل ويفسر ويقارن ويقيم بقصد الوصول إلى تقييمات ذات معنى بقصد التبصر بتلك الظاهرة" [(١)]، والظاهرة هنا هي هيبة الدعاة إلى الله تعالى.

ثالثاً: المنهج الاستنباطي: وفي ضوء هذا المنهج نقوم بحصر الحقائق العامة، وتصنيفها، وترتيبها، ثم الاستنباط من ذلك" [(٢)]، فيدخل في هذا استنباط الحجج والاستدلالات العقلية من النصوص والروايات والأخبار.

رابعاً: الدراسة الميدانية وهي: استبيان آراء الناس من خلال دراسة ميدانية لإظهار آرائهم حول منسوب هيبة الدعاة باعتبارهم الجمهور المتأثر.

أما خطوات المنهج فتتمثل فيما يلي:

١- تتبع النصوص القرآنية مع عزو الآيات إلى مواطنها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢- تتبع النصوص النبوية مع تخريج الأحاديث والحكم عليها.

٣- ذكر أشهر أقوال العلماء المتعلقة بالموضوع.

٤- أختم بأهم التوصيات والنتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

خطـــة البحـــث:

وقد جاء البحث في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة كما يلي:

---

(١) مقدمة في منهج البحث العلمي، د/ رحيم العزاوي، ص٩٧، ط١، الأردن: دار دجلة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

(٢) قواعد أساسية في البحث العلمي، سعيد إسماعيل صيني، ص٧١ بتصرف.

المبحث الأول: هيبة العلماء لله تعالى وهيبتهم لرسوله.

المبحث الثاني: هيبة الناس للدعاة إلى الله تعالى.

المبحث الثالث: أسباب هيبة العلماء الجالبة لها والمسقطة.

المبحث الرابع: أثر نزع هيبة الدعاة على السلوك الإنساني.

المبحث الخامس: دراسة ميدانية.

تمهيـــد

تحديد مصطلحات البحث

ويتضمن التعريف بمفردات عنوان البحث ..

يحسن .كما هي سنة الباحثين في الدرس والتناول . أن نبدأ بتطوافة في بساتين كتب اللغة؛ لنقف على موجز لمعنى هذه الكلمة في لغة العرب.

مفهوم الهيبة:

أولاً: المفهوم اللغوي للهيبة:

الهيبة من هابَ الشَّيءَ يَهابُه: إذا عظمه وخَافَهُ، والهيبةَ إجلال ومخافة جاء في اللسان: (الهَيْبةُ: المَهابةُ، وَهِيَ الإجلالُ والمَخافة، والأَمْرُ مِنْهُ هَبْ، بِفَتْحِ الهاءِ، لأَن أَصله هابْ، سَقَطَتِ الأَلف لِاجْتِمَاعِ السَّاكِنَيْنِ، وإِذا أَخبرت عَنْ نفسِك قلتَ: هِبْتُ، وأَصله هَيِبْتُ، بِكَسْرِ الياءِ، فَلَمَّا سَكَنَتْ الياء سَقَطَتْ لِاجْتِمَاعِ السَّاكِنَيْنِ ونُقِلَت كَسْرَتُهَا إِلى مَا قَبلَهَا وهو الهاء) [(١)]. وقَالَ اللَّيْث: (الهَيبة إجلالٌ ومخَافة) [(٢)]

ويسبق الاجلال الخوف، فإن حدث إجلال من مهيب تسلل إليه الخوف تسلل القطا، فالهيبة خوف مصدره الإجلال وهي: (رهبة جالبة للخضوع عَن استشعار عَظِيم) [(٣)].

وقد يفترقان، فالخوف من الأسباب الخسيسة لا يسمى هيبة (فالهيبة

---

(١) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، ج١ ص ٧٨٩، ط: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ .

(٢) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)المحقق: محمد عوض مرعب، ج٦ ص٢٤٤، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .

(٣) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: أ.د/ محمد إبراهيم عبادة، ج١ ص٢٠٤، ط: مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م .

خوف منشؤه التعظيم، والمخافة من العقرب، وسوء خلق العبد وما يجري مجراهما من الأسباب الخسيسة لا تسمى مهابة، والخوف من السلطان المعظم العادل يسمى مهابة) [١] .

وخوف الرجل المستبد لا يسمى هيبة لأن في داخله احتقار لأفعاله، فهذا خوف مجرد من التعظيم، وقد ينفرد التعظيم والتبجيل عن الخوف، فالهيبة من الأخ لأخيه، تعني التبجيل والتعظيم، ولا يكون فيها مخافة ومثاله سجود إخوة يوسف لأخيهم لا يسمى سجود هيبة المتضمنة للخشية لأنه غير مصحوب بخوف ويسمى سجود تعظيم، ومنه سجود الملائكة لآدم عليه السلام .

فان قلت كيف يهاب الناس العلماء والهيبة تعظيم يلحقه خوف؟ فهل يخاف الناس العلماء؟ قلت هو خوف أشبه برهبة المقام وليس خوف يشبه رهبة الانتقام، فهو خوف رقيق أشبه بالخجل، أو هو أولى درجات الخوف ويسمى خشية [٢].

---

(١) انظر إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ج١ ص١٦٢، ط: دار المعرفة، بيروت .

(٢) "فالخشية ألطف من الخوف، وكأنها قريبة من الهيبة" لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: إبراهيم بسيوني، ج٣ ص ٤٥٥، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وبينهما فرق لطيف وهو واضح من قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ" (فالخشية والخوف معناهما واحد عند أهل اللغة لكن بينهما فرق لطيف وهو أن الخشية تكون من الخاشي بسبب عظمة المخشي، قال تعالى "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء" والخوف يكون بسبب العقاب، وثمة فرق آخر وهو الخشية تكون من قوي لأقوى منه، فالله عظيم يخشاه كل قوي، والخوف يكون بسبب ضعف الخاشي إذا علمت هذا تبين لك اللطيفة قال تعالى "لَوْ أَنزَلْنَا هَاذَا الْقُرْءانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدّعاً مّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ" فإن الجبل ليس فيه ضعف يكون الخوف بسبب ضعفه وإنما الله عظيم يخشاه كل قوي وقال تعالى عن ملائكته "وهُم مّنْ خَشْيةِ رَبّهِمْ مُّشْفِقُونَ" والملائكة أقوياء وقال تعالى عن هارون عليه السلام "إِنّي أَخَافُ إِنْ يَقْتُلُونَ" لوحدته وضعفه) انظر مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ج٢٨ ص ١٥٣، ط: دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة:

والخلاصة: أن الهيبة عاطفة مكونة من إجلال ومخافة وقد يفترقان، وقد يلتقيان، فإن التقيا صار هيبة .

التعريف الاصطلاحي للهيبة:

قال ابن القيم ~ في تعريف الهيبة هي: "خَوْفٌ مُقَارِنٌ لِلتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ مَعَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ "[1] .

ومعنى هذا أن الخوف المجرد لا يعني هيبة وكذلك الخوف المقترن بالتعظيم لكنه ناشئ عن جهل ليس بهيبة حقيقية أيضاً .

الأولى .

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ج١ ص٥٠٨، ط: دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

المبحث الأول

هيبة العلماء لله تعالى وهيبتهم لرسوله

ويتكون من مطلبين:

المطلب الاول

هيبة الله تعالى

لا شك أن هيبة الدعاة إلى الله تعالى أشد من غيرهم لأنهم أعرف بالله ﷻ وخشيتهم له أكبر من غيرهم .

وهيبة الله تعالى جاءت في القرآن الكريم بمعناها، وفي السنة بمبناها، فجاءت في القرآن الكريم بمعنى التوقير[1] (والتوقير يسْتَعْمل فِي معنى التَّعْظِيم يُقَال وقرته إِذا عَظمته وَقد أقيم الْوَقار مَوضِع التوقير فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [2] أي توقيرا أَي تَعَظُّمًا) [3] .

والرجاء في الآية بمعنى الإرادة أو الاعتقاد كقوله تعالى:﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [4]

---

(١) الأصل في المترادفات أن تنفرد كل كلمة بمعنى خاص بها وإلا كان الثاني فضلا لا يحتاج إليه "فَإِن كل اسْمَيْنِ يجريان على معنى من الْمعَانِي وَعين من الْأَعْيَان فِي لُغَة وَاحِدَة فَإِن كل وَاحِد مهما يَقْتَضِي خلاف مَا يَقْتَضِيهِ الآخر وَإِلَّا لَكَانَ الثَّانِي فضلا لَا يحْتَاج إِلَيْهِ وَإِلَى هَذَا ذهب الْمُحَقِّقُونَ من الْعلمَاء واليه أَشَارَ الْمبرد فِي تَفْسِير قَوْله تَعَالَى "لكل جعلنَا مِنْكُم شرعة ومنهاجا" قَالَ فعطف شَرعه على منهاج لِأَن الشرعة لأوّل الشَّيْء والمنهاج لمعظمه ومتسعه واستشهدت على ذَلِك بقَوْلهمْ شرع فلَان فِي كَذَا إِذا ابتدأه وأنهج البلي فِي الثَّوْب إِذا اتَّسع فِيهِ" الفروق لأبي الهلال العسكري ج١ ص٢٢ والبلي: "الحائك" .

(٢) سورة نوح، الآية (١٣) .

(٣) الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، ج١ ص٢٠٣، ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر .

(٤) سورة يونس، الآية (١٥) .

"والمعنى مالكم لا تكونون على حال تهابون الله ﷻ، أو مالكم" لا تعتقدون لله عظمة، أَو لا تخافون لله عظمة، فيكون الرجاءُ بمعنى الخوف، قال الأَخفش: الرجاءُ هنا: الخوف؛ لأَن مع الرجاءَ طرفًا من الخوف" (١) "فوضع الرجاء موضع الخوف لغة تهاميّة إذا كان معه جحدٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ أي: لا تخافون لله عظمةً" (٢) .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تُعَظِّمُونَ اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ، أَيْ: لَا تَخَافُونَ مِنْ بَأْسِهِ وَنِقْمَتِهِ"(٣).

والوقار بمعنى الخضوع كما يفهم من الحديث: يا أيها الناس عليكم بالسكينة والوقار "(٤) .

والعجيب أن الإنسان المخلوق الضعيف كرمه الله ﷻ فنفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته وستخلفه في أرضه ووهبه صفة الخلود في الآخرة، وهو سبحانه الأرض قبضته، والسماوات مطويات بيمينه، وكرسيه وسع السموات والأرض وأينما ولى الانسان، فثم وجه الله سبحانه قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ج١٠ ص ١٥٩٨، ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) – (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م) .

(٢) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، ج١٤ ص٥٠٦، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

(٣) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ج٨ ص ٢٣٣، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤) أَخْلَقه.

قَدْرِهِۦ ﴾ (١) .

وقد تعلم العلماء الهيبة من الملائكة قال الله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ (٢) ، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (٣) يعني: الملائكة والروح لا يتكلمون هيبة وإجلالاً "وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ قَدْرًا وَرُتْبَةً، وَأَكْثَرُ قُدْرَةً وَمَكَانَةً، فَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَا يَتَكَلَّمُونَ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ إِجْلَالًا لِرَبِّهِمْ وَخَوْفًا مِنْهُ وَخُضُوعًا لَهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ غَيْرِهِمْ " (٤)

ومن هيبة المخلوقات الأخرى قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ (٥) يعني: "تكاد أن يتشققن من قدرة الله، وهيبته. يعني: من هيبة الرحمن، وجلاله، وعظمته" (٦) .

ومن هول يوم القيامة قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ

---

(١) سورة الأنعام، الآية (٩١) .

(٢) سورة الرعد، الآية (١٣) .

(٣) سورة النبأ، الآية (٣٨) .

(٤) مفاتيح الغيب: التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ج٣١ ص ٢٤، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ .

(٥) سورة المزمل، الآية (١٧) .

(٦) بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، ج٣ ص٢٣٦ .

شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾ [١] .

وهذا مثل ضرب لشدة ذلك اليوم، وهو مجاز لأن يوم القيامة لا يكون فيه ولدان، لكن معناه: أن هيبة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك صبي لشاب رأسه من الهيبة، ويقال: هذا وقت الفزع قبل أن ينفخ في الصور نفخة الصعقِ" [٢] "وإنما تظهر الهيبة على العموم لأهل الجمع في ذلك اليوم، وأمّا الخواص وأصحاب الحضور فهم أبدا بمشهد العزّ بنعت الهيبة، لا نفس لهم ولا راحة، أحاط بهم سرادقها واستولت عليهم حقائقها" [٣]. قال تعالى ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٤]، "قَالَ أَبُو عُثْمَانَ: أَسْكَتَتْهُمْ رُؤْيَةُ الْهَيْبَةِ وَحَيَاءُ الذُّنُوبِ" [٥] .

وأشد الناس معرفة بالله بعد الأنبياء هم الدعاة والعلماء لذلك كانوا من أكثر الناس هيبة وخشية لله ﷻ فالخشية من شرط العلم قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا

---

(١) سورة الشورى، الآية (٥) .

(٢) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، ج١٩ ص٤٧٨، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

(٣) لطائف الإشارات: لطائف الإشارات :تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر الطبعة: الثالثة ج٣ ص٦٧٩، مرجع سابق .

(٤) سورة المرسلات، الآية (٣٥) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ج١٩ ص١٦٦.

﴿ يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [1] والهيبة من شرط المعرفة [2] قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [3] وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [4] .

فأوائل العلم الخشية ثم الإجلال ثم التعظيم ثم الهيبة ثم الفناء" [5] " فمن صحت معرفته بالله ظهرت عليه الهيبة والخشية" [6].

وحكي عن عنيزة البغدادية [7] أنها قالت: العلم يورث الخشية والمعرفة تورث الهيبة" [8] .

"وقال أهل الحقائق: الخوف على قسمين: خوف عقاب وهو خوف العصاة، وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص، لأنهم يعلمون عظمة الله

---

(١) سورة فاطر، الآية (٢٨) .

(٢) الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف ط: دار المعارف، القاهرة ج١ ص٢٥٢، وهو من كلام الأستاذ أبا عَلِيّ الدقاق شيخ القشيري .

(٣) لطائف الإشارات: ج٣ ص٦٧٩، مرجع سابق .

(٤) سورة الأنفال، الآية (٢) .

(٥) روح البيان: أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، (المتوفى: ١١٢٧هـ)، ج٩ ص١٣١، ط: دار الفكر، بيروت .

(٦) طبقات الصوفية: ، ص مرجع سابق٢٢٦ .

(٧) عنيزة البغدادية خدمت أبا محمد الجريري كانت من ظرفاء الصوفيات ظريفة النفس كبيرة الحال سمعت بعض أصحابنا يقول قلت لعنيزة أوصيني فقالت كن لله اليوم كما تحب أن يكون لك غدا)، طبقات الصوفية: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج١ ص٤٢٣، ط: دار الكتب العلمية، بيروت .

(٨) طبقات الصوفية: ج١ ص٤٢٣، مرجع سابق .

ﷻ فيخافونه أشد خوف، وأما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن إذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله" (١).

وَقِيلَ: الظَّالِمُ لنفسه الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى الْغَفْلَةِ وَالْعَادَةِ، وَالْمُقْتَصِدُ الَّذِي يَعْبُدُهُ عَلَى الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَالسَّابِقُ الَّذِي يَعْبُدُهُ عَلَى الْهَيْبَةِ والاستحقاق" (٢).

وقد كان العلماء يهابون الله ﷻ حتى مجرد الكلام في صفات الله ﷻ والحديث عنها. قال الإمام أحمد:" تفكرتُ في أخبار الصفاتِ، فرأيتُ الصحابة والتابعين سكتُوا عن تفسيرها، مع قوةِ علمهم، فنظرتُ السببَ في سكوتِهم، فإذا هو قوةُ الهيبة للموصوف، ولأنَّ تفسيرَها لا يتأتَّى إلا بضربِ الأمثالِ لله، وقد قال ﷻ: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ (٣) وكان يقول: لا يفسرُ على الحقيقة ولا على المجازِ؛ لأن حملها على الحقيقة تشبيه وعلى المجاز بدعةٌ" (٤) .

وأحق من يهاب هو الله ﷻ "فمَنْ دَخَلَ عَلَى مَلِكٍ مَهِيبٍ فَرُبَّمَا مَرَّ بِهِ أَبَوَاهُ وَبَنُوهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَعْرِفُهُمْ لِأَجْلِ أَنَّ اسْتِيلَاءَ هَيْبَةِ ذَلِكَ الملك تَمْنَعُ الْقَلْبَ عَنِ الشُّعُورِ بِهِمْ، فَإِذَا جَازَ هَذَا فِي حَقِّ مَلِكٍ مَخْلُوقٍ مُجَازَى فَلَأَنْ يَجُوزَ فِي حَقِّ خَالِقِ الْعَالَمِ أَوْلَى" (٥) .

---

(١) تفسير الخازن، (لباب التأويل في معاني التنزيل): علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين، ج٢ ص ٢٩٠، ط: دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي: ، ج١٤ ص٣٤٨، ، مرجع سابق.

(٣) لطائف الإشارات: ج٣ ص٦٧٩، مرجع سابق .

(٤) الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ج٢ ص٥٠٨، ط: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

(٥) مفاتيح الغيب. التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ج١ ص٢١٤، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ .

"والنِّسْوَةَ لَمَّا غَلَبَ عَلَى قُلُوبِهِنَّ جَمَالُ يوسف وصلت تلك الغلبة إلى حَيْثُ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَمَا شَعَرْنَ بِذَلِكَ، فَإِذَا جَازَ هَذَا فِي حَقِّ الْبَشَرِ فَلَأَنْ يَجُوزَ عِنْدَ اسْتِيلَاءِ عَظَمَةِ اللَّهِ عَلَى الْقَلْبِ أَوْلَى" (١).

ومن هيبة الله ﷻ هيبة شرعه قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣) .

ورأينا هذه الايام من يتجرأ على الحضرة الالهية بكلام إن جاز أن ينعت به بشر فلا يخاطب به الله ﷻ كقول أحدهم: (إن فرض الصيام قرار سيادي لا حكمة من وراءه) (٤) .

وهذا هو الفرق بين العلماء والدعاة وبين عوام الناس.

المطلب الثاني

هيبـــة رســـــول اللّه

أمر الله تعالى بتوقير رسوله قال تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ (٥) .

وتأكيداً لتلك الهية أمر الله تعالى المؤمنين من أن يتصدقوا بين يدي نجوى رسول الله لاستشعار مقام النبوة وهيبتها وإن كان الأمر نسخ إلا إنه بقي

---

(١) مفاتيح الغيب .التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ج١ ص٢١٤، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ .

(٢) سورة الحج، الآية (٣٠) .

(٣) سورة الحج، الآية (٣٢) .

(٤) قاله الصحفي ابراهيم عيسى وهو منشور على اليوتيوب .

(٥) سورة الفتح، الآية (٩) .

اختيارا وبقي الحكمة منه وهي استشعار مقام النبوة وهيبتها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ (١).

كما أمر الله سبحانه وتعالى بغض الصوت في حضرته قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣﴾ (٢).

"وهم الذين تقع السكينة عليهم من هيبة حضرته، أولئك هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى بانتزاع حبّ الشهوات منها، فاتقوا سوء الأخلاق، وراعوا الأدب" (٣).

وتبق هيبة رسول الله حين نكون في مسجده، أو عند الحديث عنه، أو عند قراءة سنته، أو شيئا من سيرته.

ونرى تلك الهيبة العظيمة من الصحابة الكرام لرسول الله ﷺ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «سَلُونِى» فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ. فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ. فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِسْلاَمُ قَالَ «لاَ تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ». قَالَ صَدَقْتَ" (٤) ... الحديث .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: صلى بنا النبي ﷺ إحدى صلاتي العشي . قال محمد وأكثر ظني العصر . ركعتين ثم سلم ثم قام إلى خشبة في مقدم

(١) سورة المجادلة، الآية (١٢) .

(٢) سورة الحجرات، الآية (٣) .

(٣) لطائف الإشارات : ج٣ ص ٤٣٨، مرجع سابق .

(٤) رواه الامام مسلم، ك: الإيمان، باب: الإِسْلاَمُ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ، ج١ ص٣٠، ط: دار الجيل، بيروت .

المسجد فوضع يده عليها وفيهم أبو بكر وعمر { فهابا أن يكلماه وخرج سرعان الناس فقالوا أقصرت الصلاة؟ (١) ... الحديث .

وفي حديث زَيْنَبَ، امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ قالت: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ" (٢) .

ومنها قول رسول الله ﷺ "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ" (٣)، فقد قذف الله الرعب والهيبة في قلوب أعدائه الله من الرسول ﷺ وصحبه الكرام على بُعد شهر، ولعل هذا أحد الأسباب الرئيسة في انتصارات المسلمين على الكفار، والفتوحات التي وصلت إلى مشارف أوروبا .

لكن هذا مرهون بهيبة الله ﷻ وامتثال أمره فإن تحول الأمر إلى حب الدنيا واتباع الهوى أيضاً تحول الأمر لدى الآخرين فلم يعد لنا هيبة عندهم عن ثوبانَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "يوشِكُ الأُممُ أن تَداعَى عليكم كما تَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها" فقال قائل: ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: "بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغثاء السَّيلِ، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ اللهُ في قلوبِكم الوَهْنَ". فقال قائلٌ: يا رسُولَ الله، وما الوهنُ؟ قال: حبُّ الدُنيا وكراهيةُ الموتِ" (٤) .

---

(١) رواه الامام البخاري، ك: أبواب السهو، باب: من يكبر في سجدتي السهو، ج١ ص٤١٢، ط: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٢) رواه الإمام البخاري، ك: بَدْءِ الخَلْقِ، بابُ: صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، ج٤ ص١٢٦، مرجع سابق .

(٣) رواه الإمام البخاري، ك: الصَّلاَةِ، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا"، ج١ ص٩٥ مرجع سابق .

(٤) رواه الإمام أبو داوود، ك: الملاحم، باب: في تداعي الأمم على الإسلام، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، ج٦ ص٣٥٥، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، وقال المحقق حديث حسن.

وقد أخذ الصحابة الكرام شيئا من هيبة رسول الله قال الشعبي: كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج، ولما جيء بالهرمزان ملك خراسان أسيراً إلى عمر وافق ذلك غيبته عن منزله، فما زال الموكل بالهرمزان يقتفي أثر عمر، حتى عثر عليه في بعض المساجد، نائماً متوسداً درته، فلما رآه الهرمزان قال: هذا والله الملك الهني عدلت فنمت، والله إني قد خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة، أصحاب التيجان فما هبت أحدا منهم هيبتي لصاحب هذه الدرّة" (١) .

وقد عقد ابن الجوزي في سيرة عمر بابا هو الباب الخامس والأربعين من أبواب في ذكر شدة هيبته في القلوب، ومنها ما رواه عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: "شَهِدْتُ عُمَرَ ﷺ يَوْمَ طُعِنَ فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَكُونَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ إِلَّا هَيْبَتُهُ، وَكَانَ رَجُلًا مَهِيبًا فَأَقْبَلَ وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ.....الحديث" (٢) .

وعن ابن عباس { يحدث أنه قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعت وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له قال فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه فقال تلك حفصة وعائشة قال فقلت والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت أن عندي من علم فاسألني فإن كان لي علم خبرتك به" (٣) .... الحديث .

---

(١) التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية: محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، ج٢ ص٢٥٠، ط: دار الأرقم، بيروت، الطبعة: الثانية .

(٢) تاريخ المدينة لابن شبة: عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت، ج٣ ص ٨٩٦، ط: ١٣٩٩هـ .

(٣) رواه الإمام البخاري ك: التفسير بابُ: تفسير سورة الطلاق ج٤ ص١٨٦٦مرجع سابق

فإذا هاب الانسان الله هابه كل شيء حتى الشيطان نفسه فعمر هابه الشيطان.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ" (١) .

❁ ❁ ❁

(١) رواه الإمام مسلم ك: الزَّكَاةِ. بَابُ: فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت ج٢ ص٦٩٤

المبحث الثاني

هيبة الناس للدعاة إلى اللّه تعالى

هيبة الدعاة مستمدة من هيبتهم لله تعالى ومن كونهم يحملون العلم الشرعي الذي هو رسالة الله إلى الناس.

ولاشك أن العلماء العاملين لهم هيبة في قلوب الخلق فعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، قَالَ: "الْإِيمَانُ هَيُوبٌ" (١) أَيْ أَنَّ صَاحِبَهُ يَهَابُ المعاصي فضلا على أنه يهابه غيره .

ومنه قوله تعالى عن فتية أهل الكهف: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾(٢) وذلك الخوف وتلك الهيبة هي هيبة الإيمان. "فعلى ذلك جائز أن يكون ما ذكر من هيبة أحوالهم لدينهم الذي اختاروا من بين قومهم وفارقوهم" (٣) .

وعلى الجانب الأخر فاقتراف المعاصي يبتر تلك الهيبة. قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ (٤) .

وإن الله تعالى جعل العلماء في المرتبة الثانية بعد الأنبياء والرسل فالناس يرثون الأموال من آبائهم، والعلماء يرثون علم الأنبياء والرسل.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ . ٢٣٥هـ)، تحقيق: محمد عوامة، ج١١ ص١٢، الدار السلفية الهندية القديمة .

(٢) سورة الكهف، الآية (١٨) .

(٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، ج٧ ص ١٥١، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

(٤) سورة الحج، الآية (١٨) .

وقد جعلهم الله تعالى يتحدثون نيابة عنه ويوقعون باسمه من أجل ذلك كانت هيبتهم في النفوس كبيرة. قَالَ الإمام الشَّافِعِيُّ ~: "كُنْتُ أُصْفِحُ الْوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ صَفْحًا رَفِيقًا هَيْبَةً لَهُ لِئَلَّا يَسْمَعَ وَقْعَهَا" (١) .

وقد كان الامام مالك مهيباً لا يجرؤ أحد أن يتكلم بحضرته، ولا أن يسأله هيبة له، وإذا تكلم لا يرد عليه. والذي جلب له هذه الهيبة والعظمة في صدور العامة هو حسن المظهر من لبس الثياب الحسنة، وعدم التزيد في الكلام، وترك ما لا ينهض به من الامور، والتي تقلل غالباً الهيبة غالباً وكذلك علمه وعمله. قال الذهبي عنه رحمهما الله:" وَكَانَ رَجُلاً مَهِيْباً، نَبِيْلاً، لَيْسَ فِي مَجْلِسِهِ شَيْءٌ مِنَ المِرَاءِ وَاللَّغَطِ، وَلاَ رَفْعُ صَوْتٍ" (٢) .

وقال حدثنا قتيبة: كنا إذا دخلنا على مالك، خرج إلينا مزيناً مكحلاً مطيباً، قد لبس من أحسن ثيابه، وتصدر الحلقة، ودعا بالمراوح، فأعطى لكل منا مروحة"(٣) .

وكانت تهابه السلاطين ولا يراجع هيبة له قَالَ أَبُو مُصْعَبٍ: كَانُوا يَزْدَحِمُوْنَ عَلَى بَابِ مَالِكٍ حَتَّى يَقْتَتِلُوا مِنَ الزِّحَامِ، وَكُنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَهُ، لاَ يَلْتَفِتُ ذَا إِلَى ذَا، قَائِلُوْنَ بِرُؤُوْسِهِم هَكَذَا، وَكَانَتِ السَّلاَطِيْنُ تَهَابُهُ، وَكَانَ يَقُوْلُ: لاَ، وَنَعَمْ، وَلاَ يُقَالُ لَهُ: مَنْ أَيْنَ قُلْتُ ذَا" (٤) .

---

(١) المجموع شرح المهذب .أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ج١ ص ٣٦، ط: دار الفكر .

(٢) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ج١٥ ص٦٤، ط: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

(٣) سير أعلام النبلاء: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى ٧٤٨ هـ ١٣٧٤م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج٨ ص ٦٥، ط: مؤسسة الرسالة .

(٤) سير أعلام النبلاء: الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ ١٣٧٤م) تحقيق : شعيب الأرناؤوط، ج٨ ص ١١١، ط: مؤسسة الرسالة .

قال بن سعد: وكان رجلاً مهيباً نبيلاً، ليس في مجلسه شيء من المراء، واللغط، ولا رفع صوت، وكان الغرباء يسألونه عن الحديث، فلا يجيب إلا في الحديث بعد الحديث، وربما أذن لبعضهم يقرأ عليه" (١) .

قَالَ مُصْعَبُ بنُ عَبْدِ اللهِ فِي مَالِكٍ ~:

يَدَعُ الجَوَابَ فَلاَ يُرَاجَعُ هَيْبَـةً ... وَالسَّائِلُوْنَ نَوَاكِسُ الأَذْقَـانِ

عِزُّ الوَقَارِ وَنُوْرُ سُلْطَانِ التُّقَى ... فَهُوَ المَهِيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ(٢)

وقال ابْنُ وَهْبٍ: سَمِعْتُ مَالِكاً يَقُوْلُ: حَقٌّ عَلَى مَنْ طَلَبَ العِلْمَ أَنْ يَكُوْنَ له وَقَارٌ، وَسَكِيْنَةٌ، وَخَشْيَةٌ، فَلاَ تُمَكِّنِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَذُلٌّ وَإِهَانَةٌ لِلْعِلمِ أَنْ يَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ بِالعِلْمِ عِنْدَ مَنْ لاَ يُطِيْعُهُ" (٣).

وقد كان الإمام الشافعي ~ ذا مهابة أيضاً قَالَ الرَّبِيعُ: "وَاللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيْبَةً له" (٤).

وكذلك سعيد بن المسيب ~ كذلك فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَرْمَلَةَ الْأَسْلَمِيُّ، قَالَ: "مَا كَانَ إِنْسَانٌ يَجْتَرِئُ عَلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ كَمَا يُسْتَأْذَنُ الْأَمِيرُ" (٥) .

---

(١) سير أعلام النبلاء: الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ ١٣٧٤م) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج٨ ص ٦٥، ط: مؤسسة الرسالة .

(٢) سير أعلام النبلاء: الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ ١٣٧٤م)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج٨ ص ١١٣، ط: مؤسسة الرسالة .

(٣) سير أعلام النبلاء: الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى (٧٤٨هـ ١٣٧٤م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج٨ ص ١٠٨، ط: مؤسسة الرسالة .

(٤) المجموع شرح المهذب .أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ج١ ص٣٦، ط: دار الفكر .

(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د/ محمود الطحان، ج١ ص ١٨٣، ط: مكتبة المعارف، الرياض .

وقال ابْنُ شِهَابٍ: "جَالَسْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ سِتَّ سِنِينَ تُحَاكُّ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ، لَا أَقْدِرُ مِنْهُ عَلَى حَدِيثٍ إِلَّا أَنِّي أَقُولُ: قَالُوا الْيَوْمَ كَذَا وَقَالُوا الْيَوْمَ كَذَا، فَيَتَكَلَّمُ" (١) .

وقد كان الحسن البصري كذلك فعَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ يَجْلِسُ إِلَى الْحَسَنِ ثَلَاثَ سِنِينَ فَلَا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، هَيْبَةً لَهُ" (٢) وهكذا كان السلف رضي الله عنهم بهذه الهيبة ومن كان على شاكلتهم وقد كان يحكي عن شيوخ الأزهر الأجلاء مثل هذه المكانة. ومن هؤلاء الشيخ الإمام محمد الخراشي وهو أول شيوخ الأزهر الشريف وكان ~ "إِمَامًا فِي الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مُتَوَاضِعًا عَفِيفًا لَا يَكَادُ جَلِيسُهُ يَمَلُّ مِنْ مُجَالَسَتِهِ انْتَهَتْ إِلَيْهِ الرِّيَاسَةُ فِي الْعِلْمِ وَوَقَفَ النَّاسُ عِنْدَ فَتَاوِيهِ وَكَانَ مُتَقَشِّفًا فِي مَأْكَلِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمِفْرَشِهِ وَكَانَ لَا يُصَلِّي الصُّبْحَ صَيْفًا وَشِتَاءً إِلَّا بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَكَانَ خُلُقُهُ وَاسِعًا إِذَا تَجَادَلَ عِنْدَهُ الطَّلَبَةُ يَشْتَغِلُ هُوَ بِالذِّكْرِ حَتَّى يَفْرُغَ جِدَالُهُمْ وَكَانَ يَقْضِي بَعْضَ مَصَالِحِهِ بِيَدِهِ مِنْ السُّوقِ وَيَحْمِلُهَا وَيَتَعَاطَى مَصَالِحَ بَيْتِهِ فِي مَنْزِلِهِ أَيْضًا وَكَانَ كَثِيرَ الْأَدَبِ وَالْحَيَاءِ كَرِيمَ النَّفْسِ جَمِيلَ الْمُعَاشَرَةِ حُلْوَ الْكَلَامِ وَكَانَ كَثِيرَ الشَّفَاعَاتِ عِنْدَ الْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ وَكَانُوا يَهَابُونَهُ وَيُجِلُّونَهُ وَيَقْبَلُونَ شَفَاعَتَهُ وَكَانَ مَهِيبَ الْمَنْظَرِ عَلَيْهِ خَفْرُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَكَانَ دَائِمَ الطَّهَارَةِ كَثِيرَ الصَّمْتِ زَاهِدًا وَرِعًا . كَثِيرَ الصِّيَامِ طَوِيلَ الْقِيَامِ وَكَانَ لَهُ تَهَجُّدٌ عَظِيمٌ فِي اللَّيْلِ وَكَانَ نَهَارُهُ كُلُّهُ فِي طَاعَةٍ إمَّا فِي عِلْمٍ أَوْ قِرَاءَةِ قُرْآنٍ أَوْ وِرْدٍ يَقُولُ . مَنْ عَاشَرَهُ: مَا ضَبَطْنَا عَلَيْهِ قَطُّ . سَاعَةً هُوَ فِيهَا غَافِلٌ عَنْ مَصَالِحِ دُنْيَاهُ أَوْ آخِرَتِهِ" (٣) .

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج١ص١٨٣، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة .

(٣) شرح مختصر خليل للخرشي: محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: ١١٠١هـ) ط: دار الفكر للطباعة – بيروت الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ ج١ ص٢

المبحث الثالث

أسباب مهابة الدعاة الجالبة لها والمسقطة

هناك بعض الأسباب التي تجلب الهيبة للداعية وأسباب أرى تذهب بها وسوف أبين ذلك في مطلبين هما:

المطلب الأول

الأسباب الجالبة للهيبة

هناك بعض الأسباب التي تجلب الهيبة للداعية منها:

١- إبْعَادِ الداعية نفسه عَنْ مَوَاضِعَ التُّهَم:

إن حفظ هيبة الداعية إنما هو من تمام الدين، وصيانة العلم، ولا يتم ذلك للداعية حتى يحمي حماها، فلا يقف موقفا يزرى عليه ، أو فيه خرم لمروءته، ولا يقف مواقف التهم إلا أن يبين.

نتعلم ذلك من النبي ﷺ فعن علي بن الحسين أن صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ أخبرته: أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره وهو معتكف في المسجد في العشر الغوابر من رمضان فتحدثت عنده ساعة من العشاء ثم قامت تنقلب فقام معها النبي ﷺ يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد الذي عند مسكن أم سلمة زوج النبي ﷺ مر بهما رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ ثم نفذا فقال لهما رسول الله ﷺ على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي قالا سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما ما قال، قال "إن الشيطان يجري من ابن آدم مبلغ الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما" (١).

فلا يرى الداعية في موقع يساء الظن به فتضيع هيبة الدعوة وهيبة

(١) رواه الإمام البخاري، ك: الأدب، بابُ: التكبير والتسبيح عند التعجب، ج٥ ص٢٢٩٦، مرجع سابق.

الداعي بعد هذا الموقف .

٢- موافقة الأقوال للأعمال:

من أسباب الهيبة الجالبة موافقة الأقوال للأفعال، واستجماع الدعاة للسلوك الحميد والأخلاق الحسنة، وذلك يكون بمساعدة الناس، والحلم عليهم، وإكرامهم.

ومن أشد الفتن للناس وانصرافهم عن الحق رؤية الداعية يخالف ما يقول، فيقول الناس لو كان ما يقول حقا لكان أول المسارعين إليه ،فهو يدعوهم إلى الجنة بقوله، وإلى النار بعمله، وكيف يستقيم الظل والعود أعوج ،فهو في الظاهر دال على الخير، وفي الحقيقة قاطع طريق ف" هداية الغير فرع للاهتداء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح ،فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره، ومتى يستقيم الظل والعود اعوج" (١) .

والوعيد فيه شديد فعَنْ أسامة بن زيد قال: سَمِعْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيْ (يَا) فُلَانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا (وَتَنْهَى) عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ" (٢) فعدم موافقة الاقوال للأعمال أسقط هيبة الداعية وأسقط الاقتداء به وبذلك يكون ذلك مسقطا للهيبة والعمل معاً .

٢- السمت الحسن له الهيئة المناسبة:

ومما يضفي على العالم الهيبة والوقار نظافته، وحسن سمته، مظهره، ولذلك فإنه يشرع للخطيب خاصة الاغتسال يوم الجمعة، وأن يمس من الطيب،

(١) إحياء علوم الدي المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ج٢ ص ٣١٢، ط: دار المعرفة، بيروت .

(٢) رواه الإمام البخاري، ك: بدء الخلق، بابُ: صفة النار وأنها مخلوقة، ج٣ ص١١٩١، مرجع سابق .

ويلبس أحسن ثيابه، ويزيد في حسن هيئته.

فمن روافدها الاهتمام بالمظهر والسمت ويعتبر الداعية في موضع القيادة وقد اختار الله للقيادة صاحب المظهر المبهر قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ (١) .

لكن هذا لا يغني عن العلم والتمكن ،فقد يرى الانسان داعية فيهابه الناس بداهة لسمته الحسن، فان تحدث تبخرت هيبته وقد مر بنا أن من أسباب هيبة الإمام مالك رحمه الله حسن السمت والهيئة.

لكن قد تأتي الهيبة من غير سمت إذا حسن الجوهر، ففقدان المظهر القدري لا يهدر قيمة الجوهر وقد كان . عطاء بن أبي رباح . أعور وتهابه الملوك جاء في السير عَنِ الزُّهْرِيِّ: قَالَ لِي عَبْدُ المَلِكِ بنُ مَرْوَانَ: مِنْ أَيْنَ قَدِمْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ مَكَّةَ. قَالَ: فَمَنْ خَلَّفْتَ يَسُوْدُهَا؟ قُلْتُ: عَطَاءٌ. قَالَ: أَمِنَ العَرَبِ أَمْ مِنَ المَوَالِي؟ قُلْتُ: مِنَ المَوَالِي. قَالَ: فِيْمَ سَادَهُم؟ قُلْتُ: بِالدِّيَانَةِ وَالرِّوَايَةِ. قَالَ: إِنَّ أَهْلَ الدِّيَانَةِ وَالرِّوَايَةِ يَنْبَغِي أَنْ يُسَوَّدُوا"(٢) .

٣- توفير حد الكفاية المعيشية للدعاة:

لن يتوفر السمت الحسن إلا إذا توافر للداعية حد الكفاية المعيشة بما يضمن حياة كريمة وهي كما قال ابن حزم في المحلى" فَيُقَامُ لَهُمْ بِمَا يَأْكُلُونَ مِنْ الْقُوتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ، وَمِنْ اللِّبَاسِ لِلشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَبِمَسْكَنٍ يَكُنُّهُمْ مِنْ الْمَطَرِ، وَالصَّيْفِ وَالشَّمْسِ، وَعُيُونِ الْمَارَّةِ" (٣) .

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٤٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء: الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ج٩ ص ٨٦، ط: مؤسسة الرسالة .

(٣) المحلى: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ج٦

ويستطيع أن يتكسب زوجة تعفه وغيره من لوازم العيش فعن المُستورِد بن شدَّادٍ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: "من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجةً؛ فإن لم يكن له خادمٌ فليكتسبْ خادماً، فإن لم يكن له مَسكنٌ فليكتسبْ مَسكناً" (١) .

ولا شيء في أخذ الأجرة على دعوته فعن الحسن رحمه الله، أن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان كانا يرزقان المؤذنين والأئمة والمعلمين والقضاة" (٢) .

ولحديث ابن الساعديّ، قال: استعملني عمرُ على الصدقةِ، فلما فرغتُ أمر لي بعُمالةٍ، فقلت: إنما عملتُ للهِ، قال: خُذْ ما أُعْطِيتَ، فإني قد عملتُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فَعَمَّلَنِي" (٣) .

فينبغي أن يتساوى الدعاة مع القضاة فهم ليسوا أقل شأناً ولا دوراً منهم .

٤- توفير مناخ آمن يسود فيه حرية مسؤولة:

توفير مناخ آمن للدعاة أن يقولوا النصيحة دون خوف هو في صالح الجميع فما الداعية إلا حامل مصباح للناس فإن وجد حفرة وجب عليه أن ينبه الناس فقد يحيط بما لم يحط به الناس وإن الله قد جعل المتقين فرقانا، ونتعلم تلك الحرية من القرآن الكريم حين كان الهدهد ناصحاً لسيدنا لسليمان عليه السلام وكان سبباً في دخول أمة كاملة للإسلام، والنصيحة لها آداب والنقد بحسب من يوجه

ص ١٥٦، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(١) رواه الإمام أبو داوود، ك: الخراج والفيء والإمارة، بابُ: في أرزاق العمال، ج٤ ص٥٦٦، وقال المحقق إسناده صحيح مرجع سابق .

(٢) تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور/ بشار عواد معروف، ج٢ ص٤٢٧، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .

(٣) رواه الإمام أبو داوود، ك: الخراج والفيء والإمارة، بابُ: في أرزاق العمال المحقق: شعَيب الأرناؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، ج٤ ص ٥٦٦، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، وقال المحقق إسناده صحيح .

له .

٥- التعفف عما في أيدي الناس:

إن هيبة العلماء دفنها الاسترزاق وطلب الحاجة إلى الناس فالعلم لا يصل إلا بحشمة، "والعرب تقول: إن مع الهيبة الخيبة والفرصة خلسة فثب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها"(١).

ودخل عطاء على عبد الملك بن مروان فأوصاه بالمسلمين خيرا قال أفعل "ثُمَّ نَهَضَ، وَقَامَ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ عَبْدُ المَلِكِ، وَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! إِنَّمَا سَأَلْتَنَا حَوَائِجَ غَيْرِكَ، وَقَدْ قَضَيْنَاهَا، فَمَا حَاجَتُكَ؟

قَالَ: مَا لِي إِلَى مَخْلُوْقٍ حَاجَةٌ. ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ عَبْدُ المَلِكِ: هَذَا . وَأَبِيْكَ . الشَّرَفُ، هَذَا – وَأَبِيْكَ – السُّؤْدُدُ" (٢) .

والترفع عن كثير من المباحات أفضل فكثرتها خوارم للمرؤة ومنها أنه "يُكْرَهُ لِأَهْلِ المُرُوْءَاتِ وَالفَضَائِلِ التَسَرُّعُ إِلَى إِجَابَةِ الطَّعَامِ، وَالتَسَامُحُ، وَحُضُوْرُ الوَلَائِمِ غَيْرِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ يُوْرِثُ دَنَاءَةً وَإِسْقَاطَ الهَيْبَةِ مِنْ صُدُوْرِ النَّاسِ"(٣).

فمن رق وجهه عِنْدَ السؤال رق علمه عِنْدَ الرجال "عَنْ ابْن عُمَرَ قَالَ مَنْ رَقَّ وَجْهُهُ رَقَّ عِلْمُهُ"(٤) فقرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان. و"الهيبة

(١) ديوان المعاني: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، ج١ ص ٢٢١، ط: دار الجيل، بيروت .

(٢) سير أعلام النبلاء: ج٩ص٨٦، مرجع سابق .

(٣) فصول الآداب ومكارم الأخلاق المشروعة: أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري (المتوفى: ٥١٣هـ)، المحقق: د/ عبد السلام بن سالم السحيمي، ج١ ص ٥٢، ط: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

(٤) الآداب الشرعية: عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عمر القيام، ج٢ ص٧١، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م .

قرين الحرمان والجسارة قرين الظفر " [١] .

وقد حدثني أحد طلاب الشيخ/ صادق العدوي ~ أنه كان في مسجده بعد الخطبة في الجامع الأزهر وكان حاضراً قدراً سلطان دولة عربية ونصحه أحدهم أن يقوم يسلم عليه فما كان من الشيخ أن انتفض وقال بنفس اللفظ ناهراً القائل "احنا هنشحت".

وقد نسأل كيف يصل الإنسان إلى هذه الحالة من العزة ولاشك أن النشأة الأولى عامل مهم في تكوين الشخصية فينبغي ألا يعيش الأبناء جو الانكسار النفسي حتى يحمل على وجهه طيف الهيبة فنحذر التحقير والإهانة لهم وإخافتهم وترويعهم فالشدة المفرطة والعنف الأسري يؤدي الى الجبن .

وينبغي أن نربى أبنائنا على استشعار معية الله ﷻ فيهاب قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبعة مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وناظراً إليه وشاهده أيعصيه إياك والمعصية"[٢]

---

(١) البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ج١ ص٦٠٤، ط: دار صعب، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، تحقيق: المحامي فوزي عطوي .

(٢) إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ج٣ ص٧٤، ط: دار المعرفة، بيروت .

٦- الالتزام بالعمل الدعوي في المسجد:

إن الالتزام بالخطبة وأداء الدروس يجعل رواد المسجد يجلون الإمام ويقدرون سعيه وقد يتزرع البعض بأنه يتغيب عن العمل الدعوي، وأداء الدروس في المسجد بأنه لا يأخذ ما يكفيه من راتب، وهذا غير مقبول مادام ارتضى هذا العمل، وسوف يبارك الله له فيه، وقد رأينا من الدعاة من أكرمهم الله بعد ذلك بسبب اخلاصهم، وتفانيهم في العمل.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ" (١) .

وهَذَا مِنْ مُعْجِزَات النُّبُوَّة وفيه: الْحَثّ عَلَى السَّمْع وَالطَّاعَة، وَإِنْ كَانَ الْمُتَوَلِّي ظَالِمًا عَسُوفًا، فَيُعْطَى حَقّه مِنْ الطَّاعَة، والْأَثَرَة تَفْسِيرهَا: اِسْتِئْثَار الْأُمَرَاء بِأَمْوَالِ بَيْت الْمَال)(٢).

المطلب الثاني

الأسباب المسقطة للهيبة

هناك أسباب مسقطة للهيبة منها ذاتية تتعلق بالداعية نفسه وأسباب خارجية كالإعلام وهي على النحو التالي.

١- التبسط وكثرة المزاح:

التبسط والمزاح يسقط الحكمة، ويقلل الهيبة فلا بد من وجود مساحة، أو مسافة بين الداعي وبين الناس، فلولم تكن هذه المساحة موجودة لتجرأوا عليه،

(١) رواه الإمام البخاري، ك: المناقب، بابُ: علامات النبوة في الإسلام، ج٣ ص١٣١٨، مرجع سابق .

(٢) شرح صحيح مسلم، ك: الإمارة، بابُ: وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٢ ص٢٣٢، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ .

وقلت هيبته، والهيبة رَأس أمره، والافراط في التبسط للناس يقلل من هيبته ،وقد قالوا: "استكثر من الهيبة صامت" (١).

وقد أمرنا ديننا بأن نقل خيراً أو لنصمت. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" (٢) .

وقال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه: "إذا تم العقل نقص الكلام" (٣).

ولا ينبغي للعالم أن يكثر من الاختلاط بالعوام، ويترفع عن كثير من المباحات، وقد يكلفه هذا بعض المشقة.

"فلا تجالس العامة فان فعلت فأدبه: ترك الخوض في حديثهم، وترك الإصغاء الى أراجيفهم، والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم، وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم، وإياك أن تمازح لبيبا أو غير لبيب، فان اللبيب يحقد عليك، والسفيه يتجرأ عليك، لأن المزح يخرق الهيبة، ويسقط ماء الوجه، ويذهب بحلاوة الود، ويشين فقه الفقيه، ويجرئ السفيه" (٤) .

---

(١) البيان والتبيين، ج١ ص ٢٢٥، مرجع سابق .

(٢) رواه الإمام البخاري، ك: الأدب، بابُ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ج٥ ص٢٢٤٠، مرجع سابق .

(٣) شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ج٧ ص ٩٢، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، مرجع سابق .

(٤) بدائع السلك في طبائع الملك: محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى: ٨٩٦هـ)، تحقيق: د/ علي سامي النشار، ج٢ ص٤٧٠، ط: وزارة الإعلام، العراق، الطبعة: الأولى.

عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا أَحْنَفُ "مَنْ كَثُرَ ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ" (١).

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ: «الْمِزَاحُ يَأْكُلُ الْهَيْبَةَ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ" (٢).

وقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: مَنْ كَثُرَ ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: إِذَا ضَحِكَ الْعَالِمُ ضِحْكَةً مَجَّ مِنَ الْعِلْمِ مَجَّةً" (٣).

ومعناه أنه نقص من قدره وكأن الهيبة تتناسب تناسبا طرديا مع العلم فان هاب الناس العالم استعظموا علمه وان سقطت هيبته استصغر الناس علمه فقل منسوبه المعنوي .

حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا، يَقُولُ: «مُخَالَطَةُ الْأَنْذَالِ وَالسِّفْلَةِ تَحُطُّ الْهَيْبَةَ وَتَضَعُ الْمَنْزِلَةَ وَتَكِلُّ اللِّسَانَ وَتُزْرِي الْإِنْسَانَ"(٤)

وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: مَنْ أَطَالَ صَمْتَهُ اجْتَلَبَ مِنَ الْهَيْبَةِ مَا يَنْفَعُهُ، وَمِنَ الْوَحْشَةِ مَا لَا يَضُرُّهُ" (٥).

وقالوا: "المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د/ محمود الطحان، ج١ ص٤٠٤، ط: مكتبة المعارف، الرياض .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج١ ص٤٠٤، مرجع سابق .

(٣) أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، ج١ ص٣١٣، ط: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، ١٩٨٦م .

(٤) العزلة: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، ج١ ص٥٠، ط: المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ .

(٥) أدب الدنيا والدين: ج١ ص٢٧٩، مرجع سابق .

بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرئ السفيه" (١) .

٢- مهابة ذوي الجاه والتقرب إليهم:

قد يهاب الداعية أصحاب الجاه والسلطان فيحدث له منهم رهبة ورغبة وقد يسارع في طلب ودهم وهذا يجعل الناس تنظر اليه نظرة فيها شيء من التدني والذي تضيع معه هيبة الداعية .

لكن على الداعية ألا يهاب أحدا إلا الله عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، { قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُ أُمَّتِي تَهَابُ فَلَا تَقُولُ لِلظَّالِمِ يَا ظَالِمُ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ"" (٢) .

والمعنى: أن الأمة إذا أصبحت في حال تخشى فيه من إنكار على الظالم فقد تُودع منهم أي (تودعهم الله وتركهم لاستواء وجودهم وعدمهم، واستنبط منه أن ترك إنكار المنكر من أسباب خذلان الله للأمة) (٣) .

الاحتساب مع التلطف أو الصمت مع الخوف:

إذا لم يستطع الداعي الصدع بالحق لخوف فيسعه الصمت لكنه لا يصفق للباطل فإذا أمر ونهى أصحاب الجاه فيكون في غاية التلطف قال الإمام أبو حامد الغزالي ~: "والجائز مع السلاطين التعريف والوعظ وأما المنع بالقهر

---

(١) إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ج٢ ص١٩٢، ط: دار المعرفة بيروت .

(٢) رواه الحاكم في مستدركه: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج٤ ص١٠٨، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٣) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ج١ ص ٣٥٤، ط: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ .

فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر" (١).

وبَيْنَمَا الرَّشِيدُ يَطُوفُ يَوْمًا بِالْبَيْتِ إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُكَلِّمَكَ بِكَلَامٍ فِيهِ غِلْظَةٌ، فَقَالَ: لَا وَلَا نِعْمَتْ عَيْنٌ قَدْ بَعَثَ اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ إِلَى مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي فَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا" (٢) .

كما ينبغي أن تكون النصيحة لهم سرا فعَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ قِيلَ لِأُسَامَةَ لَوْ أَتَيْتَ فُلَانًا فَكَلَّمْتَهُ قَالَ إِنَّكُمْ لَتُرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ، إِنِّي أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلَا أَقُولُ لِرَجُلٍ أَنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيْ (يَا) فُلَانُ مَا شَأْنُكَ..... الحديث" (٣) .

"قَالَ الْمُهَلَّبُ: أَرَادُوا مِنْ أُسَامَةَ أَنْ يُكَلِّمَ عُثْمَانَ وَكَانَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَمِمَّنْ يَخِفُّ عَلَيْهِ فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ لِأَنَّهُ كَانَ ظَهَرَ عَلَيْهِ رِيحُ نَبِيذٍ وَشُهِرَ أَمْرُهُ وَكَانَ أَخَا عُثْمَانَ لِأُمِّهِ وَكَانَ يَسْتَعْمِلُهُ فَقَالَ أُسَامَةُ قَدْ كَلَّمْتُهُ سِرًّا دُونَ أَنْ أُفْتَحَ بَابًا أَيْ بَابَ الْإِنْكَارِ عَلَى الْأَئِمَّةِ عَلَانِيَةً خَشْيَةَ أَنْ تَفْتَرِقَ الْكَلِمَةُ ثُمَّ عَرَّفَهُمْ أَنَّهُ لَا يُدَاهِنُ أَحَدًا وَلَوْ كَانَ أَمِيرًا بَلْ يَنْصَحُ لَهُ فِي السِّرِّ جَهْدَهُ وَذَكَرَ لَهُمْ قِصَّةَ الرَّجُلِ

---

(١) إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ج٢ ص٣٤٢، ط: دار المعرفة بيروت .

(٢) البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، ج١٠ ص٢٣٥، ط: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

(٣) رواه الإمام البخاري، ك: بدء الخلق، بابُ: صفة النار وأنها مخلوقة، ج٣ ص١١٩١، مرجع سابق .

الَّذِي يُطْرَحُ فِي النَّارِ لِكَوْنِهِ كَانَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ لِيَتَبَرَّأَ مِمَّا ظَنُّوا بِهِ مِنْ سُكُوتِهِ عَنْ عُثْمَانَ فِي أَخِيهِ" "قَالَ عِيَاضٌ: فَأَشَارَ أُسَامَةُ إِلَى الْمُدَارَاةِ الْمَحْمُودَةِ وَالْمُدَاهَنَةِ الْمَذْمُومَةِ وَضَابِطُ الْمُدَارَاةِ أَنْ لَا يَكُونَ فِيهَا قَدْحٌ فِي الدِّينِ وَالْمُدَاهَنَةُ الْمَذْمُومَةُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا تَزْيِينُ الْقَبِيحِ وَتَصْوِيبُ الْبَاطِلِ وَنَحْوُ ذَلِكَ قَالَ الطَّبَرِيُّ: اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ يَجِبُ مُطْلَقًا وَاحْتَجُّوا بحديث أبي سعيدٍ الخدريّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "أفضَلُ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عندَ سلطانٍ جائرٍ . أو أميرٍ جائرٍ"(١) وَبِعُمُومِ حديث طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلاَةِ مَرْوَانُ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ الصَّلاَةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ. فَقَالَ قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ. فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ" (٢) .

"وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَجِبُ إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ لَكِنَّ شَرْطَهُ أَنْ لَا يَلْحَقَ الْمُنْكِرَ بَلَاءٌ لَا قِبَلَ لَهُ بِهِ مِنْ قَتْلٍ وَنَحْوِهِ وَقَالَ آخَرُونَ يُنْكِرُ بِقَلْبِهِ لِحَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ نُقَاتِلُهُمْ قَالَ «لاَ مَا صَلَّوْا». أَيْ مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَأَنْكَرَ بِقَلْبِهِ" (٣) .

---

(١) رواه ابن ماجة، ك: الملاحم، باب: الأمر والنهي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي ،عَبد اللّطيف حرز الله، ج٦ ص٤٠٠، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، وقال المحقق: صحح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف عطية العوفي . وهو ابن سعْد . إسرائيل: هو ابن يونس بن أبي إسحاق السَّبيعي.

(٢) رواه مسلم، ك: الإيمان، باب: بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الإِيمَانِ وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، ج١ ص٥٠، ط: دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت .

(٣) رواه مسلم، ك: الإمارة، باب: وُجُوبِ الإِنْكَارِ عَلَى الأُمَرَاءِ فِيمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ وَتَرْكِ قِتَالِهِمْ مَا صَلَّوْا

قَالَ وَالصَّوَابُ اعْتِبَارُ الشَّرْطِ الْمَذْكُورِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ" حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ" قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: يَتَعَرَّضُ مِنْ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُهُ" (١) .

فيَجِبُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَخَفْ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ ضَرَرًا وَلَوْ كَانَ الْآمِرُ مُتَلَبِّسًا بِالْمَعْصِيَةِ لِأَنَّهُ فِي الْجُمْلَةِ يُؤْجَرُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا سِيَّمَا إنْ كَانَ مُطَاعًا) (٢) .

ومن خلال مقابلتي لبعض الدعاة وسؤالهم: هل يمكن أن تعالج الواقع بالدين؟

فاتفقوا جميعاً على قولة واحدة وهي أنه ليس عندهم استعداد لهذا لكن يمكن ان يدندنوا حول تلك القضايا فيتحدثوا عن الحالة الاقتصادية مثلا لكنهم لا يتحدثون عن أسبابها أو يأتون بأسباب ثانوية .

والحقيقة أنه لا مانع من هيبة السلطان لكن لا تجعل تلك الهيبة تمنعك من أمره ونهيه وقد وَقَفَ الهدهدُ بين يدي سليمان عليه السلام مع أن سليمانَ مَلِكٌ نَبِيٌّ، له هيبةُ الملكِ، وهيبةُ النبوةِ، وَنَسَبَ الإحاطةَ إلى نفسِه، وَنَفَاهَا عن سليمان.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَحْقِرْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ" ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ؟ قَالَ: " يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ، ثُمَّ لَا يَقُولُ فِيهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِي كَذَا وَكَذَا؟

وَنَحْوِ ذَلِكَ ج٦ ص٣٣، مرجع سابق .

(١) رواه ابن ماجة، ك: أبواب الفتن، باب: بَابُ قَوْلِهِ: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، ج٥ ص١٤٨، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م وقال المحقق: حديث حسن بشاهده، وهذا إسناد ضعيف، لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ك: الْفِتَنِ بابُ: الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ ج١٣ ص٥٢، ط: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ .

فَيَقُولُ: خَشْيَةُ النَّاسِ، فَيَقُولُ: فَإِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَ" (١) .

"وهذا محمول على أن المانع له من الإنكار مجرد الهيبة دون الخوف المسقط للإنكار، فإن خاف على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفي أو أخذ المال ونحو ذلك من الأذى، أو خاف مثل ذلك على أهله وجيرانه سقط وجوب الإنكار، وقد نص على ذلك الأئمة منهم مالك بن أنس وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم .

قال الإمام أحمد ~: لا يتعرض للسلطان فإن سيفه مسلول. وقال ابن شبرمة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالجهاد يجب على الواحد أن يصابر فيه الاثنين ويحرم عليه الفرار منهما ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك . وأما مجرد خوف السب أو سماع الكلام السيئ فلا يسقط الإنكار . نص عليه الإمام أحمد، وإن احتمل الأذى وقوي عليه فهو أفضل نص عليه" (٢) .

عن أبي سعيدٍ الخدريّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "أفضَلُ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عندَ سلطانٍ جائرٍ . أو أميرٍ جائرٍ" (٣) .

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَالَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ" (٤) .

---

(١) رواه الإمام ابن ماجة، ك: الْفِتَنِ باب: الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج٢ ص ١٣٢٨، ط: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي وقال المحقق: في الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات. وأبو البختري اسمه سعيد بن فيروز الطائي .

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ)، ج٢ ص٤٣٤، ط: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٣) رواه أبوداود، ك: أول كتاب الملاحم، باب: الأمر والنهي، ج٦ ص٤٠٠، مرجع سابق، وقال المحقق: صحيح لغيره .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، ك: مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ ﷺ، باب: ذِكْرُ إِسْلَامِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، تحقيق:

فلا ينبغي للداعية أن يهاب أحدا إلا الله خاصة صاحب الرتبة فهو محاط بالناس وله أتباع كثر فان جاز ذلك من العامة فلا يجوز في حق الداعية لأنه يهاب الله فتصغر عنده كل مهابة بجانب الله .

ويا حبذا لو كان محاطا بعصبية من أهله قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [1] ومن ترك هيبة الله استعضاء هيبة المخلوقين نزعت منه الهيبة، فلو أمر ولده لاستخف به.

وهيبة الحاكم لا تمنع من الاحتساب عليه عن طارق بن شهاب قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان فقام إليه رجل فقال الصلاة قبل الخطبة فقال قد ترك ما هنالك فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله ﷺ يقول من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" [2] .

"وقَدْ يُقَالُ كَيْفَ تَأَخَّرَ أَبُو سَعِيدٍ ﷺ عَنْ إِنْكَارِ هَذَا الْمُنْكَرِ حَتَّى سَبَقَهُ إِلَيْهِ هَذَا الرَّجُلُ وَجَوَابُهُ أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ لَمْ يَكُنْ حَاضِرًا أَوَّلَ مَا شَرَعَ مَرْوَانُ فِي أَسْبَابِ تَقْدِيمِ الْخُطْبَةِ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ ثُمَّ دَخَلَ أَبُو سَعِيدٍ وَهُمَا فِي الْكَلَامِ وَيُحْتَمَلُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ كَانَ حَاضِرًا مِنَ الْأَوَّلِ وَلَكِنَّهُ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ حُصُولَ فِتْنَةٍ بِسَبَبِ إِنْكَارِهِ فَسَقَطَ عَنْهُ الْإِنْكَارُ وَلَمْ يَخَفْ ذَلِكَ الرَّجُلُ شَيْئًا

مصطفى عبد القادر عطا،ج٣ ص٢١٥، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ . ١٩٩٠م وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وصححه الألباني في الصحيحة، ج١ ص٧١٦ .

(١) سورة هود، الآيتان (٩١، ٩٢) .

(٢) رواه الإمام مسلم، ك: الأدب ،بابُ: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، ج١ ص٦٩، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت .

لِاعْتِضَادِهِ بِظُهُورِ عَشِيرَتِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ أَوْ أَنَّهُ خَافَ وَخَاطَرَ بِنَفْسِهِ وَذَلِكَ جَائِزٌ فِي مِثْلِ هَذَا بَلْ مُسْتَحَبٌّ وَيُحْتَمَلُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ هَمَّ بِالْإِنْكَارِ فَبَدَرَهُ الرَّجُلُ فَعَضَّدَهُ أَبُو سَعِيدٍ والله أعلم" (١) .

وكان من عادة السلف الإنكار والصدع بالحق إيثاراً لإقامة حق الله سبحانه على بقائهم واختيارهم لإعزاز الشرع على حفظ مُهَجهم.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ" (٢) .

عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُومَ بِحَقٍّ إِذَا عَلِمَهُ "قَالَ: ثُمَّ بَكَى أَبُو سَعِيدٍ قَالَ: "قَدْ وَاللهِ شَهِدْنَاهُ، فَمَا قُمْنَا بِهِ" (٣) .

نحن بحاجة الى الثقة في الله "قرنت الهيبة بالخيبة. أي من هاب الأخطار خاب عن بلوغ المعالي" (٤) .

---

(١) شرح صحيح مسلم: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ك: الإيمان، بابُ: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ج٢ ص٢٢، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(٢) رواه الإمام الترمذي، ك: أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب: مَا جَاءَ أَفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، تحقيق: حمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، ج٤ ص٤٧١، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، وقال حسن غريب .

(٣) رواه الإمام أحمد، ك: مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، باب: مُسْنَدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ج١٨ ص ٢١٤، ط:مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م وقال المحقق: مرفوعة صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد: وهو ابن جدْعان، ولانقطاعه، الحسن: وهو البصري لم يسمع من أبي سعيد .

(٤) الأمثال: زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي (المتوفى: بعد ٤٠٠هـ)، ج١ ص١٨٥،ط: دار سعد الدين، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ .

وهيبة الناس واحترامهم من شيب الكبار "قَالَ الأَصْمَعِيُّ: قِيْلَ لِعَبْدِ المَلِكِ: عَجِلَ بِكَ الشَّيْبُ. قَالَ: وَكَيْفَ لاَ وَأَنَا أَعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ" (١).

٣- الإقبال على الدنيا:

إذا عظمت الدنيا في عين الداعية، صغر في أعين الناس، وقد كان أصحاب النبي الدنيا في أعينهم صغيرة ،فكبروا في أعين الناس وانظر إلى هذا المشهد "وقد بَعَثَ سَعْدٌ رَسُولًا آخَرَ بِطَلَبِهِ وَهُوَ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَقَدْ زَيَّنُوا مَجْلِسَهُ بِالنَّمَارِقِ الْمُذَهَّبَةِ وَالزَّرَابِيِّ الْحَرِيرِ، وَأَظْهَرَ الْيَوَاقِيتَ وَاللَّآلِئَ الثَّمِينَةَ، وَالزِّينَةَ الْعَظِيمَةَ، وَعَلَيْهِ تَاجُهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْتِعَةِ الثَّمِينَةِ، وَقَدْ جَلَسَ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ. وَدَخَلَ رِبْعِيٌّ بِثِيَابٍ صَفِيقَةٍ وَسَيْفٍ وَتُرْسٍ وَفَرَسٍ قَصِيرَةٍ، وَلَمْ يَزَلْ رَاكِبَهَا حَتَّى دَاسَ بِهَا عَلَى طَرَفِ الْبُسَاطِ، ثُمَّ نَزَلَ وَرَبَطَهَا بِبَعْضِ تِلْكَ الْوَسَائِدِ، وَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ سِلَاحُهُ وَدِرْعُهُ وبيضته عَلَى رَأْسِهِ. فَقَالُوا لَهُ: ضَعْ سِلَاحَكَ. فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكُمْ، وَإِنَّمَا جِئْتُكُمْ حِينَ دَعَوْتُمُونِي فَإِنْ تَرَكْتُمُونِي هَكَذَا وَإِلَّا رَجَعْتُ. فَقَالَ رُسْتُمُ: ائْذَنُوا لَهُ، فَأَقْبَلَ يَتَوَكَّأُ عَلَى رُمْحِهِ فَوْقَ النَّمَارِقِ فَخَرَّقَ عَامَّتَهَا، فَقَالُوا لَهُ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فَقَالَ اللَّهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضيق الدنيا إلى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ"(٢).

وعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ:

(١) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ج٥ ص١٤١، ط: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

(٢) البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، ج٧ ص٨٦، ط: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

"حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ" (١) .

وقد يتساهل بعض الدعاة في الدخول على صاحب السلطان، والتلطف والتزلف والابتسام والمهادنة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقبول جوائزهم، وحضور مجالس أهل الباطل، والسعي وراء زينة الدنيا مما يكسر هيبتهم ويقلل منها .

وحين تكون الدنيا غاية وليست وسيلة نفقد ما تبق لنا من رصيد الهيبة والحقيقة أن الدنيا لا تستحق كل هذا فأيامها سريعة متشابهة ومتروكة .

وهذا شعيب يقول لقومه في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (٢)، والإقبال على الدنيا سبب كل مصيبة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ (٣) .

٤- احتراف الدعوة وظيفة لا رسالة:

إذا كانت الدعوة رسالة كان صاحبها مهموما بها وأصبحت حية وأحيت القلوب فإن الدين ليس مجرد كلمات بل هو روح يحي الموتى من الناس قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (٤) .

---

(١) رواه الإمام أبو داود، ك: أول كتاب الملاحم، باب: في تداعي الأمم على الإسلام، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، ج٦ ص٣٥٥، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م وقال المحقق حديث حسن .

(٢) سورة هود، الآية (٥١) . (٣) سورة آل عمران، الآية (١٥٢) .

ج

(٤) سورة الشورى، الآية (٥٢) .

فأين روح الدعوة إن الكلام قد يخرج ميتا إن لم يكن الداعية مهموما بالدعوة والكلام الميت لا يحيي من مات إيمانه من الناس قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (١) .

ومن أسباب موت الكلام أنه حينما نتحدث نحرص على المنهج الانتقائي فنخلق بيئة من النفاق فيرى الحق أمامه ويتكلم في شيء أخر.

٥- التحدث باللغة العامية المفرطة:

التحدث باللغة الفصحى شعار الصالحين, لأنها لغة القرن الكريم وقد يحسن أحيانا أن يخاطب الداعية الناس بشيء من التبسط في الحديث ليفهم لكن اللغة العامية المفرطة فقد لا تروق للبعض خاصة لمن يتصدر المجالس أو أوتي حظا من الانتشار فتهتز صورة العالم في النفوس وتذهب بهيبته .

٦- الفتاوى التي لا تناسب العصر:

ومما يساهم في نزع الهيبة عشرات الفتاوى الشاذة والأقوال الضعيفة(٢) فهناك من المسائل التي ينبغي أن تبق في أروقة العلماء ولا تنشر بين العامة حتى لا تكون ترة عليهم عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً" (٣) فاذا عَجَزَتْ أَفْهَامُهم عن إدراكها سببَ ذلك فتنةٍ وضلالٍ وشِرْكٍ وحَيرَةٍ "وَذَلِكَ لِأَن الشَّخْص إِذا سمع مَا لَا يفهمهُ وَمَا

(١) سورة الأنعام، الآية (١٢٢) .

(٢) انتشرت في هذه الآونة بعض الفتاوى الشاذة مثل ان النبي كان مسيحيا وان النصارى بمقياس الإسلام ليسوا كفارا ومن قال لامرأته انت تالئ لا يقع الطلاق لأنه بغير صيغته وانكار معراج النبي صلى الله عليه وسلم مثل رضاع الكبير والاتصال على المرأة قبل الدخول عليها والجرعة من الخمر لا تضر والجماع في نهار رمان لا يفسد الصوم ناسياً وغيرها مما جرأ الناس على العلماء واستباحة هيبتهم .

(٣) رواه الإمام مسلم، ك: مقدمة الإمام مسلم رحمه الله، بَابُ: النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، ج١ ص١١، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت .

لَا يتَصَوَّر إِمْكَانه يعْتَقد استحالته جهلا فَلَا يصدق وجوده فَإِذا أسْند إِلَى الله وَرَسُوله يلْزم تكذيبهما" (١) .

وينبغي أن تكون هناك رقابة من الأزهر ومساءلة على من يقومون بذلك ولا يترك الأمر هكذا.

٧- الإعلام والسخرية من رجال الدين:

هناك هجمة شرسة على الدعاة ومناهج الأزهر الدينية كل ذلك لينالوا من هيبة دعاته، ونحن لا ندعي العصمة لأحد ولكن الاستنقاص من قدرهم وذكر مثالبهم والاستخفاف ببعض أقوالهم وخاصة أمام العامة سبب لضياع هيبة العلماء وتمرد الناس على شرع الله والرسول ﷺ وصحابته الكرام ومن خلفهم من العلماء هم الموقعون عن الله ﷻ فمن انتقصهم فهو على خطر عظيم .

قال أبو زُرعة الرازي ~:" إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، لأن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى" (٢) .

وقال الإمام الذهبي ~: "وَنُحِبُّ العَالِمَ عَلَى مَا فِيْهِ مِنَ الاتِّبَاعِ وَالصِّفَاتِ الحمِيدَة، وَلاَ نُحبُّ مَا ابْتدعَ فِيْهِ بتَأْوِيْلٍ سَائِغٍ، وَإِنَّمَا العبرة بكثرة المحاسن" (٣) .

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، ك:العلم، باب: من خص بِالْعلمِ قوما دون قوم كَرَاهِيَة أَن لَا يفهموا، ج٢ ص ٢٠٥، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(٢) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب ~، ج١ ص٣٤، ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ .

(٣) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)،

فمن يبقى لأمة الإسلام إذا طُعن في علمائهم؟، سيبقى شباب أحداث، لا يحسنون التلاوة، ولا تستقيم لهم لغة، وليس لهم باع من علوم الشرع .

وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من الدعاة أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل .

لكن ينبغي أيضا على الداعية ألا يعطي لأحد فرصة فلا يكون بوقاً للباطل ويصمت إذا خاف ضرر على نفسه. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ، أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ " فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: "وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُهُ"، وقَالَ أَبُو نَضْرَةَ: " وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُهُ" (١) .

قال الإمام الذهبي . رحمه الله تعالى .: إِنَّ الكَبِيْرَ مِنْ أَئِمَّةِ العِلْمِ إِذَا كَثُرَ صَوَابُه، وَعُلِمَ تَحَرِّيهِ لِلْحقِّ، وَاتَّسَعَ عِلْمُه، وَظَهَرَ ذَكَاؤُهُ، وَعُرِفَ صَلاَحُه وَوَرَعُه وَاتِّبَاعُه، يُغْفَرُ لَهُ زَلَلُهُ، وَلاَ نُضَلِّلُهُ وَنَطْرَحُهُ وَنَنسَى مَحَاسِنَه. نَعَم، وَلاَ نَقتَدِي بِهِ فِي بِدعَتِه وَخَطَئِه، وَنَرجُو لَهُ التَّوبَةَ مِنْ ذَلِكَ" (٢).

ويستثنى من الغيبة ما دعت إليه المصلحة من بيان أخطاء بعض أهل العلم التي وقعوا فيها بحكم طبيعتهم البشرية، فللعالم أن يبين للناس خطأ غيره من العلماء لئلا يقلدونه في ذلك الخطأ؛ بل قد يكون واجباً ذلك نصحاً للأمة وتبييناً

ج١٤ ص٤٥٠، ط: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج١٨ ص ٧٠، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

(٢) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ج٩ ص ٣٢٥، ط: مؤسسة الرسالة .

للحق.

إن العالم الذي كثر خيره، وكثرت حسناته، وكثرت إصابته؛ يجب أن يقدر، وأن يحترم وأن يعرف له ما أصاب فيه، وأن يدعى له بالمغفرة والرحمة، نعم، ولا يُجارى في خطأه. وهذا منهجٌ تربوي ينبغي أن يتحلى به .

ورحم الله إبراهيم بن أدهم إذ يقول: "إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ، يَقُولُ «كُنَّا إِذَا رَأَيْنَا الشَّابَّ يَتَكَلَّمُ مَعَ الْمَشَايِخِ فِي الْمَسْجِدِ أَيِسْنَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ عِنْدَهُ" (١) أي يناظرهم ويجادلهم .

وقال الإمام الذهبي ~: " وَلَوْ أَنَّا كلَّمَا أَخْطَأَ إِمَامٌ فِي اجْتِهَادِهِ فِي آحَادِ المَسَائِلِ خَطَأً مَغْفُوراً لَهُ، قُمْنَا عَلَيْهِ، وَبدَّعْنَاهُ، وَهَجَرْنَاهُ، لَمَا سَلِمَ مَعَنَا لاَ ابْنَ نَصْرٍ، وَلاَ ابْنَ مَنْدَةَ، وَلاَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمَا" (٢).

وقال ~: "وَلَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ فِي اجْتِهَادِهِ . مَعَ صِحَّةِ إِيْمَانِهِ، وَتَوَخِّيْهِ لاتِّبَاعِ الحَقِّ – أَهْدَرْنَاهُ، وَبَدَّعنَاهُ، لَقَلَّ مَنْ يَسلَمُ مِنَ الأَئِمَّةِ مَعَنَا" (٣) .

وقال سفيان الثوري ~: "إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ الَّذِي قَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ وَأَنْتَ تَرَى غَيْرَهُ فَلَا تَنْهَهُ" (٤) .

فينبغي للإعلامي أن يتحرى لسانه خاصة مع العلماء قال ابن القيم ~:

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د/ محمود الطحان، ج١ ص٢٠١، ط: مكتبة المعارف، الرياض .

(٢) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، تحقيق: مجموعة محققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، ج٢٧ ص ٤٢٧، ط: مؤسسة الرسالة .

(٣) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي تحقيق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ط : مؤسسة الرسالةج٢٧ ص٣٨

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)ط: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م ج٦ ص٣٦٨

"وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَهُونُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ وَالِاحْتِرَازُ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ وَالظُّلْمِ وَالزِّنَى وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَمِنَ النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ مِنْ حَرَكَةِ لِسَانِهِ" (١).

٨- الانترنت والاستغناء عن الدعاة:

سهولة البحث عن المعلومة والاستغناء عن الدعاة، وأخذ الفتوى من وسائل التواصل أصبح شائعا، فلقد أصبح وسيلة البحث جوجل شيخا لبعض الناس، ومرجعا للفتوى، وتلك الحالة قللت من الحاجة للعلماء والدعاة والحقيقة أن هذا خطأ من ناحيتين الأول: أن الفتوى قد يفهم منها الحكم بطريقة غير صحيحة، فمن كان شيخه كتابه كثر خطأوه وقل صوابه والعلم بالتلقي والثانية: أن لكل إنسان ظروفه الخاصة به في الفتوى فليست كل فتوى منثورة تصلح لكل إنسان فالمعتبر في الفتوى الزمان والمكان والأحداث.

ولا شك أن في هذا خطر عظيم من جهات من كان شيخه كتابه كثر خطأوه .

❁ ❁ ❁

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)ط: دار المعرفة – المغرب الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ج١ ص١٥٩

المبحث الرابع

أثر نزع هيبة الدعاة على السلوك الإنساني

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

خطورة نزع الهيبة عن الدعاة

تجرأ الناس على العلماء بما لم نره من قبل وسببه اغتيال شخصية العلماء، ويشهد عصرنا حملة منظمة على هيبة العلماء العاملين، وطعنهم بخناجر الزيغ والضلال، وقد لجأ بعض الشباب إلى تتبع عورات العلماء وزلاتهم، وتصيد أقوالهم، وشواذ آرائهم، ورواية الأقوال الضعيفة عن الأئمة والعلماء، ليس لأحد أن يحكيها، وذلك ضرب من الطعن في الدعاة .

ومن المعلوم أنه إذا قلَّت هيبة العلماء، وقلت قيمتهم في المجتمع فسوف يقل بالتبع الأخذ عنهم، وحينئذ تضيع الشريعة التي يحملونها أو بعضها، ويكون في هذا جناية عظيمة على الإسلام وعلى المسلمين أيضًا. والنقد له آداب مع العلماء قال ابن تيمية ~: إنَّ الرَّجُلَ الْجَلِيلَ الَّذِي لَهُ فِي الْإِسْلَامِ قَدَمٌ صَالِحٌ وَآثَارٌ حَسَنَةٌ، وَهُوَ مِنْ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِمَكَانَةٍ عُلْيَا قَدْ تَكُونُ مِنْهُ الْهَفْوَةُ وَالزَّلَّةُ هُوَ فِيهَا مَعْذُورٌ، بَلْ مَأْجُورٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يُتَّبَعَ فِيهَا مَعَ بَقَاءِ مَكَانَتِهِ وَمَنْزِلَتِهِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ" (١) .

إن أسلوب الطعن في العلماء هو ما يصبو إليه أعداء الإسلام؛ لأنه ينشئ جيلاً بلا قادة، وأفضل ما في الأمة هم علماؤها الربانيون العاملون، لأنهم مصابيح الهدى ووضح ذلك ابن تيمية فقال: كُل أُمَّةٍ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فَهُمْ ضَالُّونَ

(١) مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج٦ ص ٩٣، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، وانظر: أعلام الموقعين (٢٨٣/٣) .

وَإِنَّمَا يُضِلُّهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ؛ فَعُلَمَاؤُهُمْ شِرَارُهُمْ وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى هُدًى وَإِنَّمَا يَتَبَيَّنُ الْهُدَى بِعُلَمَائِهِمْ فَعُلَمَاؤُهُمْ خِيَارُهُمْ" (١) .

(١) المرجع السابق، ج٧ ص٢٨٤ .

المطلب الثاني

حفظ هيبة الدعاة ضرورة دينية

إن حفظ هيبة الدعاة ضرورة دينية لأننا نرجع اليهم في كثير من المسائل المشتبهة ،ونحتاجهم في زمن الفتن والنوازل فهم مصابيح الهدى نستنير بهم إذا ضل الطريق خاصة الفقيه منهم .

يقول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (١) .

فانظر إلى قوله – سبحانه وتعالى – ﴿ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ ﴾ ولم يقل: يحفظونه. فليس العلم بكثرة الحفظ، وإنما العلم بالفقه والفهم ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ ﴾ فإذا نزل بالمسلمين نازلة كغلاء أسعار، أو حرب، أو فتن، أو نحوها، فيفزع إلى أهل العلم .

وذهاب هيبة العلماء قبض معنوي لعلمهم مع حاجة الناس اليهم وهو نفس الأثر حين يقبض العلماء حقيقة.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" (٢) .

ويقول الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – في مقدمة كتابه "الرد على

---

(١) سورة النساء، الآية (٨٣) .

(٢) رواه البخاري، ك: العلم، باب: كيف يقبض العلم، ج١ ص٥٠، ط: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

الجهمية" كلاماً نفيساً في مكانة أهل العلم فكان مما قال: "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين" (١).

هذا هو شأن أهل الحق والخير في كل زمان ومكان، آثارهم على الناس حسنة طيبة، وإن كانت آثار الناس عليهم سيئة قبيحة يأتون بالناس في السلاسل حتى يدخلوهم الجنة، ويجاهدون لمنفعة الخلق ، وبعضهم يكرهون ذلك لجهلهم.

قال الإمام الطحاوي ~: "وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ . أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ . لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ" (٢) .

قال ابن المبارك ~: "مَنِ اسْتَخَفَّ بِالعُلَمَاءِ، ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالأُمَرَاءِ، ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِالإِخْوَانِ، ذَهَبَتْ مُرُوءتُهُ" (٣) .

فإذا خلت الساحة من أهل العلم ، اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً، يفتونهم بغير علم، وإذا أفتوهم بغير علم فلا تسأل عن الحرمات التي تستباح، والدم المعصوم الذي يهراق، والعرض الذي ينتهك، والمال الذي يُهدر.

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، ج١ ص٥٥، ط: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى .

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج١ ص٣٢٧، ط: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

(٣) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ج٧ ص٣٨٣، ط: دار الحديث، القاهرة، ط: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

وسنة اليهود هي تجريح رجال الدين والنيل من هيبتهم وهو ما يترتب عليه ترك العلم الذي يقولونه جاء في البروتوكولات " وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين (غير اليهود) في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤودا في طريقنا" (١) .

إن هيبة الدعاة ضرورة دينية فإن العامة إذا ذهبت هيبة العلماء من قلوبهم اهتزت هيبة العلم في نفوسهم فلا يقيمون لعالم وزنا ويصدرون من عند أنفسهم وهذا باب فساد وفتنة، فاحذر من تتبع أخطائهم والتنقيب عن هفواتهم فإنه مسلك الهالكين.

ويمكن أن يكون للدعاة منهجاً تربويا فيستحب عدم مناقشة العامة في مجلس العلم، ويترك بعده لأن ذلك ربما جرّأ المبتدئين على عدم إجلال واحترام العلم، وربما أدى إلى كسر هيبة العلماء في النفوس .

المطلب الثالث

لحوم العلماء مسمومة

يبدو أن سـنة الانتقاص من أهل الدعوة وقبلهم الانبياء جارية مسـتمرة وهذا وباله عظيم، قال الحافظ ابن عســـاكر ~: "إِن لُحُوم الْعلمَاء رَحْمَة اللَّه عَلَيْهِم مَسْمُومَة وَعَادَة اللَّه فِي هتك أَسْتَار منتقصيهم مَعْلُومَة لِأَن الوقيعة فيهم بِمَا هم مِنْهُ رَاء أره عَظِيم والتنَاول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم" (٢) .

---

(١) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة: محمد خليفة التونسي (المتوفى: ١٤٠٨هـ) قدم له: عباس محمود العقاد، ج١ ص١٨٧، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ط: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، ج١ ص٢٩، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ.

وقل رجل ولغ في أعراضهم بغير حق إلا هتك الله ستره وفضحه في خلقه وَهُوَ سُبْحَانَهُ النَّاصِرُ لَهُمْ وَالْمُقَاتِلُ عَنْهُمْ كما جاء في الحديث "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ" (١).

فيعذر العالم ويلتمس له أحسن المخارج والمعاذير فانه إذا اجتهد فأصاب فَلَه أجران، وإن اجتهد فأخطأ فَلَه أجر واحد .

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري، ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ج٥ ص٣٣٨٤، ط: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

المبحث الخامس

الـدراسة الميدانيــة

قمت باستطلاع رأي بعض الناس من شرائح مختلفة عن رأيهم في هيبة الدعاة وهل ما زالوا يحتفظون بهيبتهم عند الناس أم لا .

وقد أتممت الدراسة الميدانية في خطوات:

أ . قمت بمراجعة الاستبانة مع اثنين من الأساتذة [١] المختصين في المجال وقد وجهاني بما يأتي:

١- ينبغي أن تكون العبارة تقريرية وليست على هيئة سؤال لأن العبارة لو وجهت مباشرة للمبحوث على طريقة سؤال قد يسقط المبحوث الاستبانة على نفسه فيتجمل في الإجابة، فيعطى إجابة غير واقعية مما جعل الباحث يغير الأسئلة إلى جمل تقريرية.

٢- ينبغي أن تشتمل العبارات على الموضوع كله والتي تضمنت قياس هيبة الدعاة والأسباب الجالبة والمسقطة وأثر ذلك على الدعوة.

٣- ينبغي أن يقسم الموضوع إلى عدة محاور كل محور تحته بعض العبارات.

٤- ينبغي أن تكون بعض العبارات سلبية وبعضها إيجابية لقياس المصداقية.

٥- ينبغي أن تراجع الاستمارة من قبل محكمين مختصين في المجال الدعوة الإسلامية[٢]

---

(١) هو فضيلة الدكتور/ عبد الله السيد، أستاذ علم النفس المساعد، كلية الآداب جامعة أسيوط، والأستاذ الدكتور/ هيثم عبدالمجيد محمد، أستاذ المناهج وطرق التدريس المساعد جامعة المنيا .

(٢) فقمت بتحكيمها عند كل من: الدكتور/ محمود عبدالجواد، أستاذ الفقه وأصوله المساعد، كلية الشريعة جامعة الأزهر والدكتور/ محمد رمضان، الأستاذ في كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، وغيرهم من بعض الأساتذة الفضلاء الذين كنت أجلس معهم وأستفيد منهم .

٦- جاءت الاستمارة في صورتها المبدئية مشتملة على "٣٦" عبارة وبعد تقديمها إلى مجموعة من المحكمين المختصين في مجال الدعوة ومن المشهود لهم بالكفاءة، جاءت الاستبانة في صورتها النهائية مكونة من "٢٩" عبارة حيث رأي أكثر المحكمين حذف بعض العبارات التي يمكن أن تكون غير معلومة للبعض مثل العبارة رقم"٢٠" والتي كانت تنص على: تجيد الكليات الشرعية اختيار طلابها بعناية. فكيف يعرف العامة ذلك وكذلك عبارة: اخلاص الدعاة إلى الله أكثر من غيرهم. فالمطلع على القلوب هو الله وحده وهكذا فتم حذف العبارات التي لا تصلح للقياس .

ب . هناك سؤالان مفتوحان في أخر الاستبانة ينصان على:

- **برأيك تهاب العلماء في نفسك بنسبة كم: % .**

- **هل لا تزال هيبة الدعاة موجودة في النفوس؟ أم أن الصورة الذهنية تغيرت واهتزت؟ وما سبب ذلك من وجهة نظرك؟**

ج . اشتملت الاستمارة على ثلاثة محاور المحور الأول: يدور حول واقع هيبة الدعاة لدى الناس، والمحور الثاني: يدور حول أسباب الهيبة الجالبة لها والمسقطة، المحور الثالث: هو نتيجة للمحورين وهي: مدى أثر ذلك على الدعوة .

د . قمت بتجريب الاستمارة على بعض المبحوثين أولا وتم بعض التعديل بعد ذلك.

هـ . وصل عدد المبحوثين إلى (٢٧) بعد استبعاد بعض الاستمارات التي لم يجب البعض على كامل الأسئلة.

المعالجة والتحليل

١ - عبارات المحور الأول: **قياس مهابة الناس الدعاة في العصر الحاضر.**

قمت بذكر العبارات التي تقيس هذا المحور وأراء الناس حول عباراتها وكانت هذه أراءهم كما يلي.

– في عبارة (يحتفظ الدعاة بهيبتهم عند الناس) كانت أراؤهم هي: غالبا جاءت بعدد(١٥)، وأحياناً: بعدد (١٠) ونادراً: بعدد (٢) من العد الإجمالي وهو ٢٧ مبحوث .

وجاءت العبارة الثانية وهي: يخجل الناس من الدعاة حال التقصير أكثر من غيرهم: فجاءت غالباً: بعدد (١٢)، وتعتبر هي مع العبارة الأولى تمثل نسبة (خمسون بالمائة) من عدد المبحوثين, أي أن الناس المبحوثين اعتبرت أن نسبة هيبتهم هي تلك النسبة .

وجاءت العبارة الثالثة تأكيدا للإثنين الأوليين وهي عكس العبارة الثانية وهي: يتجرأ الناس على الدعاة في هذا العصر: فجاءت غالبا: بعدد(١٣)، بنسبة ٤٨٪ وهي نسبة مقاربة للعبارتين الأولى والثانية وهذا يوضح مصداقية العبارتين الأوليين .

– **عبارات المحور الثاني وهو: أسباب هيبة الدعاة فجاءت** أراء الناس حول تلك الأسباب حسب أهميتها على كما يلي:

– يوفر للداعية مناخا آمنا تسود فيه حرية مسؤولة: جاءت غالبا: بعدد(–)، أحياناً بعدد (٩) ونادراً بعدد (١٨) .

وهذا يعني أن الناس لا ترى حرية الداعي المسؤولة إلا نادرا.

– يحرص الدعاة على التقرب من ذوي الجاه والسلطان: جاءت غالبا بعدد (١٣)، أحياناً بعدد (١٠) ونادراً بعدد (٤) .

– البحث عن المعلومة في الانترنت قلل من الاحتياج للعلماء: جاءت غالباً بعدد (١٥)، أحياناً بعدد (٨) ونادرا بعدد (٤) .

– وعبارة: يهاب الدعاة الله ولا يخشون غيره: جاءت غالباً بعدد(٥)، أحياناً بعدد (١٧) ونادراً بعدد (٥) .

– وعبارة: يعطي الإعلام الدعاة مكانتهم بين الناس: جاءت غالبا بعدد(٣)، أحياناً بعدد(٥) ونادراً بعدد (١٥) .

– وجاءت عبارة: يمارس الدعاة دعوتهم بالعمل أكثر من القول: جاءت غالباً بعدد(٤)، أحياناً بعدد (١٥) ونادراً بعدد (٨)

– وعبارة: يوفر للداعية حد الكفاية المعيشية الكريمة: جاءت غالباً بعدد(٤)، أحياناً بعدد (٩) ونادراً بعدد (١٤) .

–عبارة: يقبل الدعاة على الدنيا أكثر من اقبالهم على الآخرة: جاءت غالباً بعدد(٨)، أحياناً بعدد (١٧) ونادراً بعدد (٢)

هذا هو الطبيعي إذا لم يوفر للداعية حد الكفاية فلابد من إقباله على الدنيا مما يؤثر سلباً على دعوته .

– وعبارة: يخلص الدعاة إلى الله في عملهم الدعوي: جاءت غالباً بعدد(٣)، أحياناً بعدد (٩) ونادراً بعدد (٣) .

– وعبارة: ينظر الدعاة إلى الدعوة على أنها هدف ورسالة: جاءت غالباً: بعدد (٧)، أحياناً بعدد (١٣) ونادراً بعدد (٧) .

– وعبارة: يلتزم الدعاة بالسلوك الحسن في الحياة العامة: جاءت غالبا بعدد(١٣)، أحياناً بعدد (٩) ونادراً بعدد (٥) .

– وعبارة: يلتزم الدعاة بالدروس في المساجد معظم أيام الأسبوع: جاءت غالبا بعدد(٢)، أحياناً بعدد(١١) ونادراً بعدد (١٤) .

– وعبارة: يلتزم الدعاة بالهيئة المناسبة في الشكل والمظهر: جاءت غالبا بعدد(٩)، أحياناً بعدد (١٢) ونادراً بعدد (٦) .

– وعبارة: يزهد الدعاة في الدنيا أكثر من غيرهم: جاءت غالبا بعدد(١٢)، أحياناً بعدد (١٢) ونادراً بعدد (٧) .

– وعبارة: يتمكن الدعاة من الفهم الصحيح للعلم الشرعي: جاءت غالبا بعدد (١٢)، أحياناً بعدد (١٠) ونادراً بعدد (٧) .

– وعبارة: يكثر الدعاة من المزاح بين العامة: جاءت غالباً بعدد(٢)، أحياناً بعدد (٢١) ونادراً بعدد (٤) .

– وعبارة: ينتشر بعض الفتاوى الشاذة بين الدعاة: جاءت غالباً بعدد(٤)، أحياناً بعدد (١٩) ونادراً بعدد (٤) .

– وعبارة: ينأى الدعاة بأنفسهم عن مواضع التهم: جاءت غالباً بعدد(١٠)، أحياناً بعدد (١٢) ونادراً بعدد (٥) .

وهذه عبارة هامة ينبغي للداعية فيها أن يحذر الناس من مواطن الفتن كوسائل التواصل الاجتماعي.

– وعبارة: اللغة العامية وسيلة تعليمية ناجحة: جاءت غالبا بعدد (١٠)، أحياناً بعدد (١٣) ونادراً بعدد (٤) .

– وعبارة: يتأثر الناس بأقوال الدعاة بغض النظر عن أعمالهم: جاءت غالبا بعدد (–)، أحياناً بعدد (٢٠) ونادراً بعدد (٧).

عبارات المحور الثالث وهو: أثر ضعف الهيبة على الواقع الدعوى. وكانت أراء الناس حول هذا الأثر مرتبة حسب أهميتها على النحو التالي:

– جاءت عبارة: يغير الدعاة سلوك الناس إلى الأفضل في هذا العصر: جاءت غالباً بعدد (–)، أحياناً بعدد (٨) ونادراً بعدد (١٩) .

– وعبارة: الدعوة لها أثر كبير في تغيير سلوك الناس في هذا العصر: جاءت غالباً بعدد (٦) ، أحياناً بعدد(١١) ونادراً بعدد (١٠) .

وهذه العبارة تؤكد العبارة التي قبلها وهي نسبة تأثير الدعاة في الناس تمثل ٥٠٪ تقريبا وهي تساوي نسبة هيبة الدعاة للناس مما يؤكد أثر هيبة الدعاة في التأثير على قبول الناس للدعوة وبالتالي هذا له أثر على دعوتهم.

فالعبارتين تدلان على أن الناس لم يعودوا يتأثرون بقول بعض الدعاة مما ينعكس سلباً على سلوكهم .

- وعبارة: يتأثر جمهور المصلين بما يقوله الدعاة في خطبهم: جاءت غالباً بعدد (٤)، وأحياناً بعدد (١٥) ونادراً بعدد (٨) .

- وعبارة: يحرص الناس على الاستماع لدروس الدعاة في المساجد: جاءت غالباً بعدد (٢)، أحياناً بعدد (١٠) ونادراً بعدد (١٥) .

وهذه العبارة نتيجة للعبارة التي قبلها فاذا لم يعد جمهور المصلين متأثرين بما يقوله الداعية فبالتالي لن يحرص أحد على الذهاب لسماع الدروس في المساجد وهذا فضلا عن عدم مداومة الدعاة على أداء الدروس بالمساجد .

- وعبارة: يستعيد الداعية هيبته إن فقدها: جاءت غالباً بعدد(-)، وأحياناً بعدد (٦) ونادراً بعدد (٢١) .

- وعبارة: نزع هيبة بعض الدعاة يؤثر على باقي الدعاة: جاءت غالباً بعدد(١٤)، أحياناً بعدد (١٢) ونادراً بعدد (١) .

أما عن إجابة بعضهم على السؤال المفتوح وهو:

- هل ما تزال هيبة الدعاة موجودة في النفوس؟ أم أن الصورة الذهنية تغيرت واهتزت؟ وما سبب ذلك من وجهة نظرك؟ وكانت هذه إجاباتهم:

١- حسب التزام الداعية .

٢- هذه الصورة الذهنية تغيرت والسبب أن الدعاة ليسوا مثل ذي قبل فأكثرهم كاذبين .

٣- محتاجين الشيخ/ محمد متولى الشعراوي جديد .

٤- تغيرت طبعاً أحنا محتاجين الشيخ/ محمد متولى الشعراوي جديد .

٥- تغيرت بسبب تقرب الدعاة وأصبحت الدعوة في تلك الايام أقرب ما تكون الي التجارة .

٥- تغيرت بسبب الظروف الأخيرة في الواقع المعاصر .

٦- الهيبة موجوده لكنها اهتزت بسبب شيوخ السلطة .

٧- لا توجد اي هيبة للدعاة بسبب سلوك الكثير منهم . نعم الصورة الذهنية تغيرت واهتزت . بسبب الاعلام وبسبب بعد سلوك الدعاة . يقولون ما لا يفعلون .

٨- مهتزة لقلة الايمان وانتشار الفساد وعدم القرب من الله .

٩- تغيرت لسيطرة السياسة على الدعوة والدعاة .

١٠- الصورة اهتزت نظراً لسلوك بعض الدعاة وكذلك الإعلام له دور في ذلك.

١١- اهتزت بسبب انشغالهم بالدنيا .

أما عن نسبة هيبة الدعاة من وجهة نظر المبحوثين فكانت كالتالي:

- على حسب معرفتي بالداعية .
- الدعاة الربانيين بنسبة١٠٠٪ .
- أما عن إجاباتهم عن نسبة هيبتهم للدعاة فتراوحت النسب من ٦٠,٥٠.٢٠,١٠٪ .

ولو أخذنا متوسطا حسابيا لهذه النسب وجدنا أنه يمثل ٥٠٪ هو ما يوافق النسبة السابقة في الاستبيان تقريباً .

دراســـة حيـــة:

ومن دراسة حية مع بعض الناس وسؤالهم هل لا تزال هيبة العلماء موجودة في النفوس؟ **وكانت** ملاحظتي هي من خلال إجاباتهم أنه ما زال هناك بقية للهيبة في نفوس الناس للدعاة مع ما تصنعه الإعلام من هجمة شرسة على الدعاة .

ملحقات الدراسة الميدانية

١- استمارة الاستبيان:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛؛

يقوم الباحث الدكتور/ إبراهيم على أحمد، باستطلاع الرأي حول "واقع مهابة الدعاة في العصر الحاضر" وذلك من خلال الواقع وحيث إنكم من المشهود لهم بالكفاءة، لذا أرجو منكم إعطاء الرأي من منطلق خبراتكم في المجال ولسيادتكم جزيل الشكر .

المحور الأول: قياس مهابة الناس للدعاة في العصر الحاضر

م	العبـــــــــــارة	غالباً	أحياناً	نادراً
١	يحتفظ الدعاة بهيبتهم عند الناس			
٢	يخجل الناس من الدعاة حال التقصير أكثر من غيرهم			
٣	يتجرأ الناس على الدعاة في هذا العصر			

المحور الثاني: أسباب هيبة الدعاة

م	العبـــــــــــــــارة	غالباً	أحياناً	نادراً
١	يخلص الدعاة إلى الله في عملهم الدعوي			
٢	يزهد الدعاة في الدنيا أكثر من غيرهم			
٣	يهاب الدعاة الله ولا يخشون غيره			
٤	يعطي الإعلام الدعاة مكانتهم بين الناس			
٥	يلتزم الدعاة بالدروس في المساجد معظم أيام الأسبوع			
٦	يلتزم الدعاة بالهيئة المناسبة في الشكل والمظهر			
٧	يتمكن الدعاة من الفهم الصحيح للعلم الشرعي			
٨	ينظر الدعاة إلى الدعوة على أنها هدف ورسالة			
٩	يلتزم الدعاة بالسلوك الحسن في الحياة العامة			
١٠	يمارس الدعاة دعوتهم بالعمل أكثر من القول			
١١	ينأى الدعاة بأنفسهم عن مواضع التهم			
١٢	يوفر للداعية حد الكفاية المعيشية الكريمة			
١٣	يوفر للداعية مناخا آمنا تسود فيه حرية مسؤولة			
١٤	يقبل الدعاة على الدنيا أكثر من اقبالهم على الآخرة			

م	العبـــــــــــــــارة	غالباً	أحياناً	نادراً
١٥	يحرص الدعاة على التقرب من ذوي الجاه والسلطان			
١٦	يكثر الدعاة من المزاح بين العامة			
١٧	ينتشر بعض الفتاوى الشاذة بين الدعاة			
١٨	اللغة العامية وسيلة تعليمية ناجحة			
١٩	البحث عن المعلومة في الانترنت قلل من الاحتياج للعلماء			

المحور الثالث: أثر ضعف الهيبة على الواقع الدعوى

م	العبـــــــــــــــارة	غالباً	أحياناً	نادراً
١	يتأثر الناس بأقوال الدعاة بغض النظر عن أعمالهم			
٢	يغير الدعاة سلوك الناس إلى الأفضل في هذا العصر			
٣	يتأثر جمهور المصلين بما يقوله الدعاة في خطبهم			
٤	الدعوة لها أثر كبير في تغيير سلوك الناس في هذا العصر			

٥	يحرص الناس على الاستماع لدروس الدعاة في المساجد			
٦	يستعيد الداعية هيبته إن فقدها			
٧	نزع هيبة بعض الدعاة يؤثر على باقي الدعاة			

- سؤال مفتوح: برأيك تهاب العلماء في نفسك بنسبة كم : % .

- هل لا تزال هيبة الدعاة موجودة في النفوس؟ أم أن الصورة الذهنية تغيرت واهتزت؟ وما سبب ذلك من وجهة نظرك؟

٢- رسم بياني يوضح نسبة الاستفتاء على هيبة الدعاة

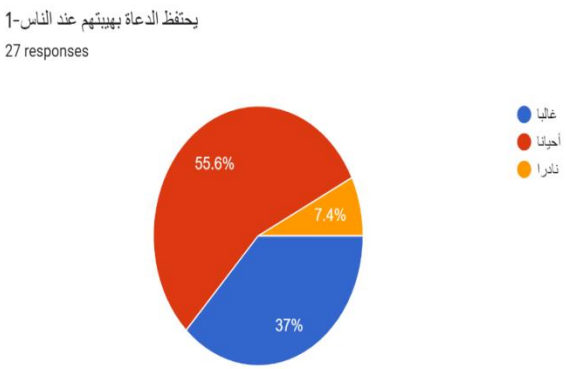

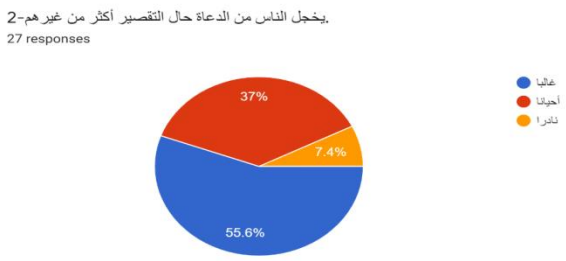

3- يتجرأ الناس على الدعاة في هذا العصر.
27 responses

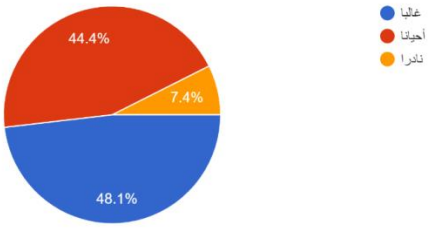

4-يخلص الدعاة إلى الله في عملهم الدعوي.
27 responses

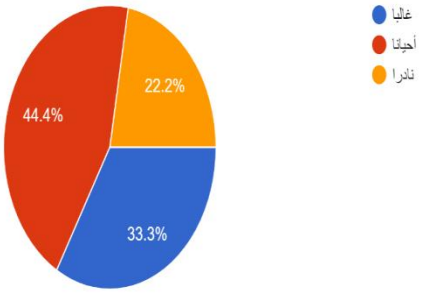

5-يزهد الدعاة في الدعاة أكثر من غيرهم.
27 responses

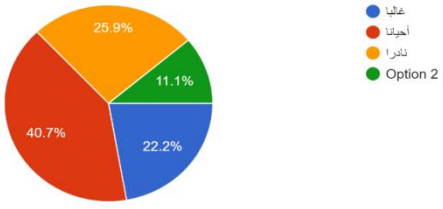

6-يهاب الدعاة الله وحده ولا يخشون غيره.
27 responses

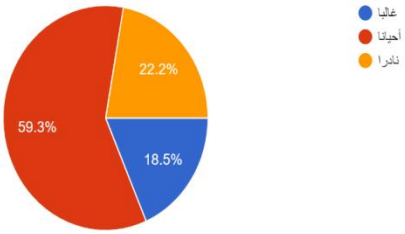

7-يعطي الإعلام الدعاة مكانتهم بين الناس.
27 responses

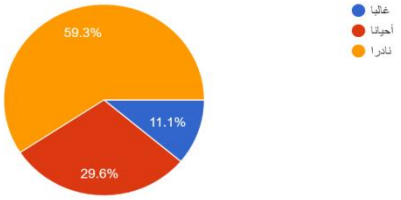

8-يلتزم الدعاة بأداء الدروس في المساجد معظم أيام الأسبوع.
27 responses

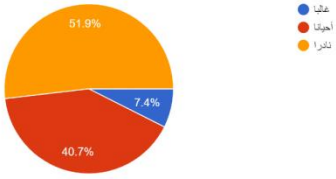

9-يلتزم الدعاة بالهيئة المناسبة في الشكل والمظهر.
27 responses

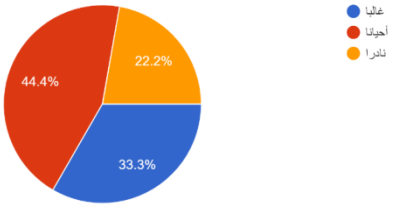

10-يتمكن الدعاة من الفهم الصحيح للعلم الشرعي.
27 responses

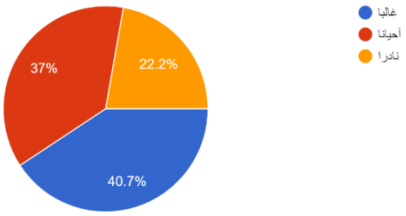

11-ينظر الدعاة إلى الدعاة إلى الدعوة على أنها هدف ورسالة.
27 responses

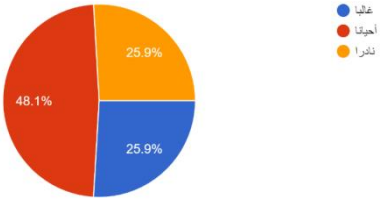

12-يلتزم الدعاة بالسلوك الحسن بين الناس في الحياة العامة
27 responses

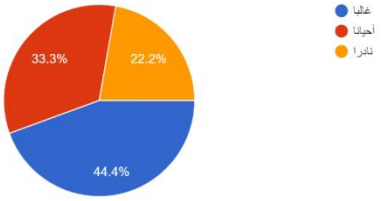

13-يمارس الدعاة دعوتهم بالعمل أكثر من القول.
27 responses

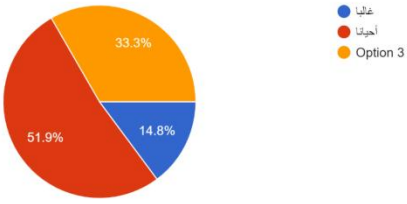

14-ينأى الدعاة بأنفسهم عن مواضع التهم.
27 responses

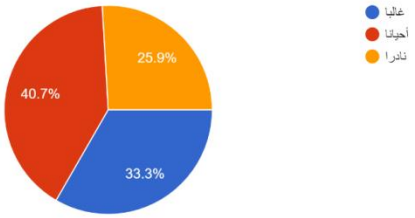

15-يوفّر للداعية حد الكفاية المعيشية الكريمة.
27 responses

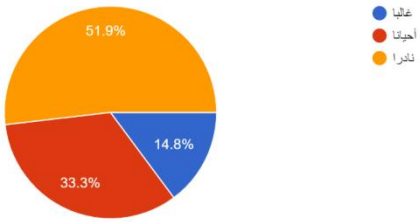

16-يوفّر للداعية مناخ آمن تسود فيه الحرية المسؤولة.
27 responses

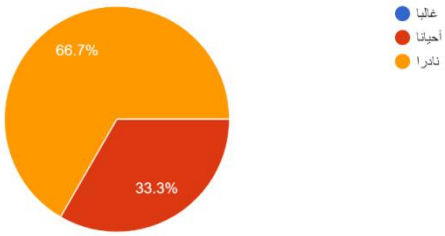

17-يُقبل الدعاة على الدنيا أكثر من إقبالهم على الأخرة.
27 responses

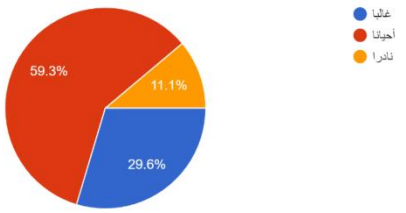

18-يحرص الدعاة على التقرب من ذوي الجاه والسلطان.
27 responses

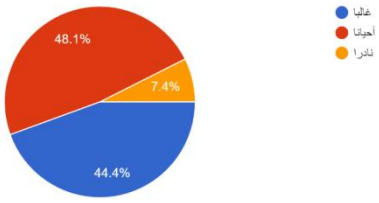

19-يُكثر الدعاة من المزاح بين العامة.
27 responses

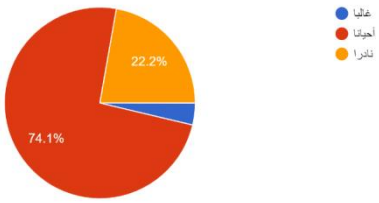

20-ينتشر بعض الفتاوى الشاذة بين الدعاة.
27 responses

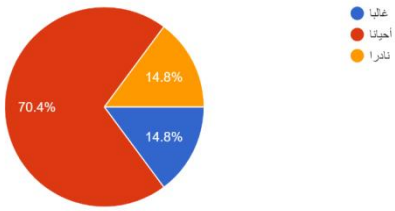

21-اللغة العامية وسيلة تعليمية ناجحة.
27 responses

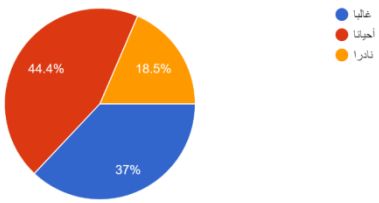

22-البحث عن المعلومة في الإنترنت قلل من الاحتياج إلى الدعاة.
27 responses

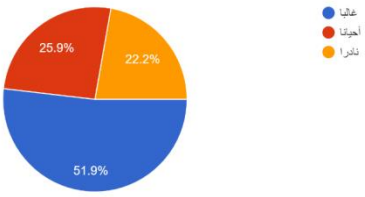

23-يتأثر الناس بأقوال الدعاة بغض النظر عن أعمالهم.
27 responses

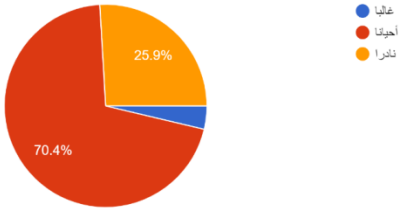

24-يُغير الدعاة سلوك الناس إلى الأفضل في هذا العصر.
27 responses

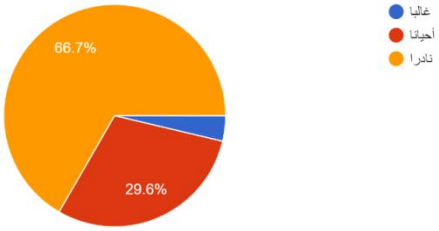

25-يتأثر جمهور المصلين بما يقوله الدعاة في خطبهم.
27 responses

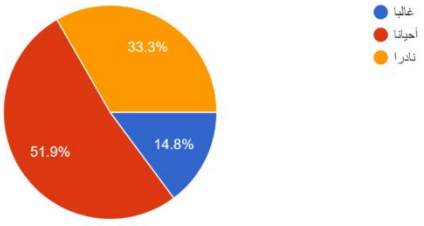

26- الدعوة لها أثر كبير في تغيير سلوك الناس في هذا العصر.
27 responses

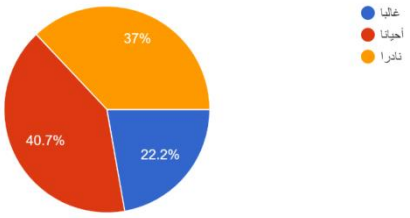

27- يحرص الناس على الاستماع للدروس في المساجد.
27 responses

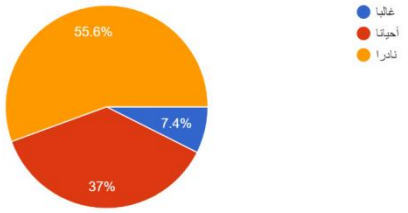

28- يستعيد الداعية هيبته إن فقدها.
27 responses

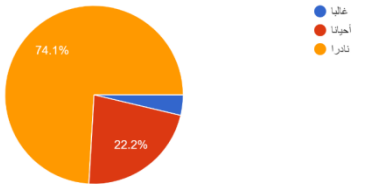

29- نزع هيبة بعض الدعاة يؤثر على هيبة باقي الدعاة.
27 responses

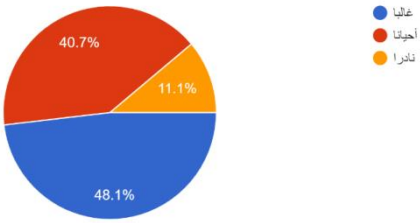

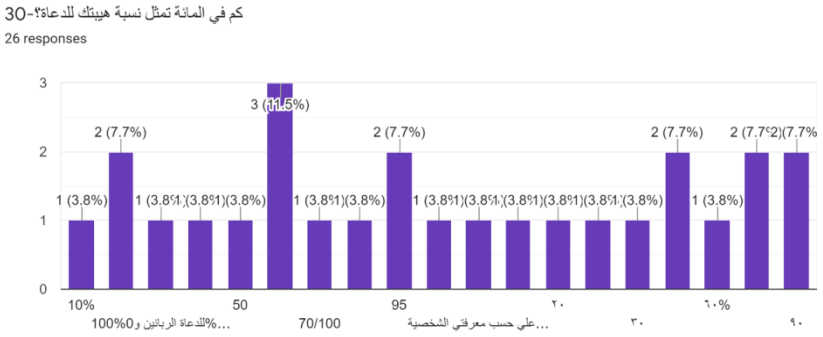

خاتمة البحث

أهم النتائج والتوصيات:

صرخة ونداء:

من خلال هذا البحث واستفتاء بعض الناس عليه خرجت بنتيجة هامة وهي أن الدعوة تحتاج إلى إصلاح ومنها اختيار عناصر صالحة للدعوة من حسن الهيئة واللغة وغيرها وتحسين ظروف معيشة الدعاة إلى الله لأن نتيجة التقصير مع الدعاة يجعلهم ينشغلون عنها وفي هذا خطر عظيم عبلى سلوك الناس فمن خلال البحث والاستفتاء تبين أن نسبة هيبة الدعاة لم تتعد (٥٠٪) الخمسون بالمائة وهذا انعكس سلبياً على تأثرهم بالدعوة وبالتاي انعكس على سلوكهم .

وفي نهاية هذا العمل المتواضع خلصت إلى بعض النتائج والتوصيات أجملها فيما يلي:

أولاً: النتائــج:

- **لا زالت هيبة العلماء موجودة في نفوس الناس رغم كل ما يتعرضون له من تشويه.**
- **اذا خلع العالم ثوب الهيبة من الصعب جدا ان يرتديها ثانية.**

- **الهيبة بريد قبول العلماء فمن هابه الناس سكنت اليه القلوب واستمعت له النفوس ومن زالت هيبته زال علمه واستصغره الناس .**
- **الهيبة تكتسب ولها أسباب اكتساب لا بد منها.**
- **لم يعد اللباس والسمت الظاهري سبب كاف لهيبة الناس فالناس يرقبون القول والعمل.**
- **اغتيال الهيبة هو ضياع القدوة ومعناه اتباع الناس رؤوساً جهالاً فيضيع الحاضر والباد.**
- الزهد في الدنيا وان امتلكتها أهم أسباب هيبة الناس للداعية.
- التبسط والمزاح والعامية المفرطة يقللون من هيبة الداعية.

ثانياً: التوصيـات:

- **على الدعاة الزهد في الدنيا وإن امتلكوها فهي كمن أهم اسباب الداعية .**
- **على القائمين بالأمر الضرب على يد رجال الإعلام الذين يغيرون معتقد الناس في العلماء.**
- **على الناس إعطاء الداعية القدوة مكانته فبديلهم أسافل الناس .**
- **احترام حق الحرية وإعطاء الداعية حق التعبير عن رأيه وعن دعوته .**

مراجـع البحـــث

القرآن الكريم .

١. إحياء علوم الدين المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٤٥٠هـ . ٥٠٥هـ)، ط: دار المعرفة، بيروت، لبنان .

٢. الآداب الشرعية: عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعمر القيام، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .

٣. أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى:٤٥٠هـ)، ط: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، ١٩٨٦م .

٤. الأمثال: زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي (المتوفى: بعد ٤٠٠هـ)، ط: دار سعد الدين، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ .

٥. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) .

٦. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى:٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري ط: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م .

٧. بدائع السلك في طبائع الملك: محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى: ٨٩٦هـ)، تحقيق: د/ علي سامي النشار، ط: وزارة الإعلام، العراق، الطبعة: الأولى .

٨. البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: المحامي/

فوزي عطوى، ط: دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م .

٩. تاريخ المدينة لابن شبة: عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت، ط: ١٣٩٩هـ .

١٠. تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى:٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور/ بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠٢م .

١١. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى:٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ .

١٢. التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية: محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، (المتوفى: ١٣٨٢هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط: دار الأرقم، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية.

١٣. تفسير الخازن . (لباب التأويل في معاني التنزيل): علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ تحقيق وتصحيح: محمد على شاهين .

١٤. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .

١٥. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، ط:

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .
١٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط/١، (١٣٩٣هـ . ١٩٧٣م) . (١٤١٤هـ . ١٩٩٣م) القاهرة .
١٧. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .
١٨. الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى:٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ . ١٩٦٤م، القاهرة .
١٩. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى:٤٦٣هـ)، تحقيق: د/ محمود الطحان، ط: مكتبة المعارف، الرياض، السعودية .
٢٠. الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى:٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م .
٢١. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى:٧٥١هـ)، ط: دار المعرفة، المغرب، الأولى، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م .
٢٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى:٤٣٠هـ)، ط:

السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م .

٢٣. الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة: محمد خليفة التونسي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، قدم له: عباس محمود العقاد، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .

٢٤. ديوان المعاني: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، ط: دار الجيل، بيروت، لبنان .

٢٥. الرد على الجهمية والزنادقة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى:٢٤١هـ)، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، ط: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى .

٢٦. الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، ط: دار المعارف، القاهرة .

٢٧. روح البيان: أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، (المتوفى: ١١٢٧هـ)، ط: دار الفكر، بيروت، لبنان .

٢٨. سنن ابن ماجة: تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي عَبد اللّطيف حرز الله، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م، القاهرة .

٢٩. سنن أبي داوود، المحقق: شعَيب الأرناؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م، القاهرة .

٣٠. سنن الترمذي: تحقيق: حمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، المدرس في الأزهر الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ . ١٩٧٥م، القاهرة .

٣١. سير أعلام النبلاء: الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ . ١٣٧٤م)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة .

٣٢. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ط: وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية .

٣٣. شرح صحيح مسلم: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٣٤. شرح مختصر خليل للخرشي: محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى:١١٠١هـ)، ط: دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ .

٣٥. شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى:٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة .

٣٦. صحيح البخاري: ط. دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، القاهرة .

٣٧. صحيح مسلم: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى:٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٣٨. طبقات الصوفية: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

٣٩. العزلة: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي

المعروف بالخطابي (المتوفى:٣٨٨هـ)، ط: المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ.

٤٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

٤١. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب ~، ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ .

٤٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ .

٤٣. الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة .

٤٤. فصول الآداب ومكارم الأخلاق المشروعة: أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري (المتوفى:٥١٣هـ)، المحقق: د/ عبد السلام بن سالم السحيمي، ط: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠٢م .

٤٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ط: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ .

٤٦. قواعد أساسية في البحث العلمي: سعيد إسماعيل صيني .
٤٧. اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م .
٤٨. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى:٧١١هـ)، ط: دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ .
٤٩. لطائف الإشارات: تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الثالثة .
٥٠. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، ط : مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م .
٥١. مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
٥٢. المجموع شرح المهذب: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى:٦٧٦هـ)، ط: دار الفكر، القاهرة .
٥٣. المحلى: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
٥٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر

بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م.

٥٥. مستدرك الحاكم في مستدركه: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

٥٦. مسند الإمام أحمد: تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م ، القاهرة .

٥٧. مصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ . ٢٣٥هـ)، تحقيق: محمد عوامة، الدار السلفية الهندية القديمة .

٥٨. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: أ. د/ محمد إبراهيم عبادة، ط: مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٤م .

٥٩. مفاتيح الغيب: التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٦٠. مقدمة في منهج البحث العلمي: د/ رحيم العزاوي، ط/١، الأردن، دار دجلة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م .

٦١. مناهج البحث العلمي: د/ عبد الرحمن بدوى، دار النهضة العربية، مصر،

١٩٦٣م .

الفهرس

Contents

ملخص البحث ٢٦٦
مقدمة البحث ٢٦٨
أهمية الموضوع وأسباب اختياره: ٢٧١
تمهيـــد ٢٧٤
تحديد مصطلحات البحث ٢٧٤
مفهوم الهيبة: ٢٧٤
المبحث الأول ٢٧٧
هيبة العلماء لله تعالى وهيبتهم لرسوله ٢٧٧
المطلب الثاني ٢٨٣
هيبـــة رســـول الله ٢٨٣
المبحث الثاني ٢٨٨
هيبة الناس للدعاة إلى الله تعالى ٢٨٨
المبحث الثالث ٢٩٢
أسباب مهابة الدعاة الجالبة لها والمسقطة ٢٩٢
المطلب الأول ٢٩٢
الأسباب الجالبة للهيبة ٢٩٢
المطلب الثاني ٢٩٨
الأسباب المسقطة للهيبة ٢٩٨
المبحث الرابع ٣١٥
أثر نزع هيبة الدعاة على السلوك الإنساني ٣١٥
المطلب الثاني ٣١٧
حفظ هيبة الدعاة ضرورة دينية ٣١٧
المطلب الثالث ٣١٩
لحوم العلماء مسمومة ٣١٩
المبحث الخامس ٣٢١
الـدراسة الميدانيـــة ٣٢١

ملحقات الدراسة الميدانية ٣٢٨
خاتمة البحث ٣٣٩
أهم النتائج والتوصيات: ٣٣٩
أولاً: النتائــج: ٣٣٩
ثانياً: التوصيــات ٣٤٠
مراجــع البحــث ٣٤١
الفهرس ٣٥٠